

تطور الفكر الإلحادي (دراسة تحليلية)

إعداد الدكتورة

عزيزة على الأشول

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

الكلية الجامعية بالقنفذة، المملكة العربية السعودية





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تطور الفكر الإلحادي (دراسة تحليلية)

عزيزة على الأشول

قسم الدراسات الاسلامية، الكلية الجامعية بالقنفذ، المملكة العربية السعودية.

الإيميل الجامعي: aaaamri@uqu.edu.sa

الملخص:

يسعي الملاحظة لاكتساب المشروعية من خلال الزعم بأن الإلحاد ظاهرة عالمية قديمة قدم التاريخ؛ فالإلحاد بزعمهم كان خياراً وجودياً كالدين تماماً بتمام، فظهرت بوادره في الأديان الشرقية القديمة كالبودية مثلاً وغيرها من الأديان والفلسفات الشرقية القديمة، ثم ازدهر في بلاد اليونان، ولازم حركة تطور البحث الفلسفي في اليونان القديمة، وانتقلت هذه الأفكار الإلحادية إلى البيئة العربية القديمة، وبالطبع ترسخت تلك المفاهيم في بيئات إسلامية عديدة وظهرت مجموعات من المفكرين اتهموا بالإلحاد، حتى تجذر الإلحاد في البيئة الغربية إبان عصر النهضة، ثم اختتمت أطوار الإلحاد بظهور الإلحاد الجديد.

تلك هي الرؤية الملحدة لتطور الحركة الإلحادية عبر التاريخ، ولكن هذه الرؤية مضللة في كثير من أجزائها، ومن خلال البحث توصلت إلى أن الإلحاد بمعناه المعاصر - إنكار الوجود الإلهي - هو منتج غربي أصيل لم يظهر بتلك الصورة الفجة عند الأمم القديمة، واستعمال مصطلح الإلحاد عندهم اكتسب دلالات محددة؛ منها: التصور الخاطيء لعلاقة الله بالكون والناس، وإنكار القيومية الإلهية على الكون، أو تصور خاطيء للنسبة، أو إنكار بعض العقائد الدينية مثل البعث وغيره من العقائد، ولذلك فالزعم بأن الإلحاد قديم زعم باطل يعوزه الدليل السالم عن المعارض.

الكلمات المفتاحية: الإلحاد، العقيدة، المفكرين، الإلحاد الجديد، الإنكار، الدين.



The Development of Atheistic Thinking An Analytical Study

By: Aziza Ali Al- Ashewal
Department of Islamic Studies
Al- Qunfundhah University College
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

Some Atheists seek legitimacy through claiming that atheism is an old and historical international phenomenon. Atheism, as they think, was an existential matter exactly like religion. The first signs of atheism appeared in the old oriental religions such as Buddhism.. etc, as well as oriental philosophies, then it flourished in Greece. In addition, atheism had been concomitant with philosophical research in old Greece. Such atheistic ideas had moved into the old Arabic environment and they certainly established those concepts in many Islamic environments where groups of thinkers ,who were accused of atheism, appeared. Hence, atheism rooted itself in the western environment in the wake of the age of renaissance. Finally, a new wave of atheism has appeared. Accordingly, this is the vision concerning the development of atheism across history but one would find that this vision is misleading in a great deal of its parts. Throughout the research, the researcher has found out that atheism in its modern implication- denounces the existence of God- is a pure western product that has never appeared in such a form for the old nations. Moreover, the concept of atheism has acquired certain significances such as the fallacious delineation of the relationship between Allah, the cosmos and people as well as denouncing divine eternity controlling the universe. It also signifies the incorrect delineation of prophethood and refused some dogmatic beliefs such as resurrection.. etc. Therefore, assuming that atheism is old, would be taken as fallacious since it lacks undisputed, sound evidence.

Keywords: atheism, creed, thinkers, new atheism, denial, religion.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،
فلكل أمة اصطلاحاتها ومضامينها الخاصة لهذه المصطلحات، ولا يمكن تعميم محتوى
مصطلح ما في حضارة معينة على نفس المصطلح في حضارة أخرى، ذلك أن لكل حضارة استعمالات
متعددة لنفس المصطلح يختلف عن استعمال الحضارات الأخرى له، ويمكن تسمية هذه الظاهرة -
إن جاز لنا التسمية - بظاهرة الخصوصية الدلالية للمصطلحات.

وينشأ الوهم والخلط من عدم إدراك الفروق الدلالية للمصطلحات عبر الحضارات، وقد تشابه
الدلالات ولكنها لا تتطابق - غالباً -، ومن هذه المصطلحات التي تعدد معناها ومدلولها بين
الحضارات: مصطلح (الإلحاد)، فقد استعمل في الحضارات القديمة بمعنى الخارج عن مألوف
الجماعة من عادات وتقاليد وأديان، بينما استعمل في العصور اللاحقة بمعنى الخروج عن سلطان
رجال الدين (خاصة في العصور المسيحية الوسيطة)، وقد استعمل في الحضارة الإسلامية بمعنى
المعترض على خصائص النبوة ومعجزات الرسل، ونادراً ما استُخدم في الدلالة على من ينكر وجود
الله؛ فقد أطلق على هذا الصنف من المعاندين اسم (الدهرية)، واستعمل في الحضارة المعاصرة بمعنى
المنكر لوجود الله - تعالي -، كما سيأتي بيان ذلك كله في موضعه من البحث إن شاء الله.

هذا التعدد في الدلالة واستعمال نفس المصطلح جعل من التعميم والاختزال جريمة في حق
الفكر والحقيقة، فيرمى بريء من إنكار الوجود الإلهي بهذه التهمة الشنيعة، بل يؤرخ للبشرية تأريخاً
يناقض طبيعة الأشياء وقوانين الفكر؛ فيقرر أصحاب الاتجاه الإلحادي أن الإلحاد صاحب الدين،
ومثل اختياراً مماثلاً للدين ويعتقد الملاحظة بسبب هذا الخلط المصطلحي أن: "عدم الاعتقاد في
وجود إله أو آلهة هو ظاهرة عالمية الانتشار، ذات تاريخ طويل ومميز"^(١).

(1) Atheism, A philosophical Justification: Michael Martin, temple university press, Philadelphi, usa

وراجع الترجمة العربية للوئي عشري تحت عنوان (الإلحاد لتليل فلسفي) نسخة الكترونية، ص ١٦.

هذه الأرضية الصلبة والمشروعية التي استند إليها الخطاب الإلحادي المعاصر مشروعية زائفة، ذلك أن اختلاف المدلول والاستعمال لمصطلح (الإلحاد) بين الحضارات، يجعل التأريخ للإلحاد قبل العصور الحديثة مليء بالتناقض والخطأ والخلط بين إنكار وجود الإله، وبين الاعتراض على الأديان الزائفة، أو الانحراف في التصور الديني لقضية ما كما سيظهر ذلك من خلال البحث إن شاء الله.

كل هذه العوامل جعلت من تتبع مراحل تطور استعمال مصطلح (الإلحاد) ضرورة ملحة، وكذلك تتبع فكرة إنكار وجود الإله، وتطور وسائل وأساليب وطرق التعبير عنها بين الحضارات أمراً في غاية الأهمية، لنقض التصور الإلحادي القائم على استمداد المشروعية بضرب جذوره في قديم الزمان، ظانين - أي الملاحدة - أن قدم الانحراف وكثرة من دان به دليل على المشروعية، أو ينقله من دائرة الخطأ إلى دائرة الصواب.

وقد قامت فكرة البحث على ما يلي:

١- التعريف الدقيق بالمصطلحات.

٢- تتبع ظاهرة التمرد على الأديان سواء أكانت (إنكاراً لوجود الإله - أم إنكاراً للنبوة، أو إنكاراً

لبعث الأجساد بعد موتها).

٣- إبراز اختلاف الاستعمال للمصطلح الواحد بين الحضارات المختلفة.

٤- إبراز أوجه الصورة الحالية للإلحاد وأهم مقوماته وما يميزه عن صور الإلحاد القديمة.

ويعلم الله أنني لا أتغيا لإرضاء الله، والعمل على رد التحدي الإلحادي، وقمع مظاهر الإلحاد

(الجديد)، ونقض تصورات عن قدم ظاهرة الإلحاد، وحرمانه من اكتساب مشروعية وهمية، يدلس بها على العامة والخاصة ممن لا يعي اختلاف دلالة المصطلح بين الحضارات، والله من وراء القصد وهو

حسبنا ونعم الوكيل،،،

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٠٣).

التمهيد

ويشتمل على التعريف بمفردات العنوان كما يلي:

تعريف التطور:

جاء في (لسان العرب): "الطور: التارة، تقول طوراً بعد طور: أي تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوار، قال - تعالي - "وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" (سورة نوح: ١٤)، أي ضرورياً وأحوالاً مختلفة، والطور ما كان على حدو الشيء أو بحذائه"^(١).

وفي المعجم الوسيط: "طوره: حوله من طور إلى طور، وهو مشتق من الطور، وتطور: تحول من طور إلى طور"^(٢).

فالمعني اللغوي لكلمة تطور: يدور حول نقل الشيء من مرحلة إلى مرحلة أخرى، مع إضافة أو تحسين، أو حتى مع مطلق التغيير، ولعلنا لا نخطئ إذا اجتهدنا في بيان معني التطوير في الفكر، فهو يشمل التحسين والتجويد، أو مزيد من تخصيص تمييزه عما سبقه من فكر.

ومما يدل على ذلك ما جاء في المعجم الفلسفي: أن للتطور في الفلسفة الحديثة عدة معان: (التبدل التدريجي البطيء بتأثير الظروف الخارجية - التبدل الموجه إلى غاية ثابتة على مراحل متعاقبة يمكن تجديدها مسبقاً - الانتقال من البسيط إلى المركب ومن المتجانس إلى غير المتجانس أو من الأكثر تجانساً إلى الأقل تجانساً)^(٣)

والمعني الاصطلاحي لا يخرج عن هذا الإطار السابق فيمكن تعريفه بأنه: "تجدد وتغير الشيء، وعدم بقاءه على صورته"^(٤).

(١) - لسان العرب: ابن منظور، ط دار صادر (بيروت) بدون تاريخ، ج ٤ ص ٥٠٧.

(٢) - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية (مصر)، ط دار الشروق الدولية (القاهرة) ط رابعة ٢٠٠٤م، ج ٢ مادة (طور) ص ٥٧٥.

(٣) - المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ط دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٢م، ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٤) - الوسائل الدعوية بين الثبات والتطور: سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط. دار اقرأ للنشر والتوزيع (الكويت) ٢٠٠٦م، ص ١٨.

تعريف الفكر:

جاء في معجم مقاييس اللغة: الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يقال تفكر، إذا ردد قلبه معتبراً، ورجل فكير كثير الفكر^(١)، يعني إعمال الذهن في الشيء وتقليب النظر فيه.

والفكر اصطلاحاً: لا يتعد عن المفهوم اللغوي كثيراً، إذ يعرف الفكر اصطلاحاً بأنه: "إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة". وكذلك عرف بأنه: "ما يتم التفكير به من أفعال ذهنية من أجل ترتيب أمور معلومة للوصول إلى مجهول"^(٢).

تعريف الإلحاد: وسنتوسع في تعريف مصطلح (الإلحاد) لأنه المقصود، ونتناول تعريف هذا المصطلح من خلال عدة مناظير:

أ- المنظور اللغوي:

وتكمن أهمية هذا المنظور في أنه يبين حدود المصطلح وما يحتمله من معان من خلال اللغة، التي تمثل وعاء الأفكار؛ ومن هنا كان لا بد من التعريف اللغوي في أي معالجة فكرية لكافة الظواهر، ويمكننا تتبع ما تحمله كلمة (الإلحاد) من معان من خلال استقراء معاجم اللغة العربية:

١- يقول ابن منظور: "الإلحاد: هو الميل عن القصد، ولحد على في شهادته يلحد لحداً: أثم، ولحد إليه بلسانه: مال، وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء"^(٣).

٢- يقول ابن فارس: "اللام والحاء والداد أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق والإيمان. وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الحدث. يقال: لحدت الميت وألحدت. والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه"^(٤).

(١) - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ج ٤ ص ٤٤٦.

(٢) - التعريفات: الجرجاني، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت) أولي ٢٠٠٣ م، ص ١٣٨.

(٣) - لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، مادة (لحد) ج ١٣ ص ١٧٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة: مرجع سابق، (٥/٢٣٦).

٣- ويقول ابن الأثير: "وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء"^(١).

ويمكننا بلورة معني لغوي جامع من خلال ما سبق؛ فالإلحاد في اللغة معناه (الميل عن المألوف المعتاد).

ب- المنظور الشرعي:

ويكون بتتبع مفردة (إلحاد) وتصريفاتها في القرآن والسنة، وما يستتبع ذلك من النظر في كتب التفسير وشروح السنة، وذلك كما يلي:

١- المعصية: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، قال ابن الجوزي: "وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال: أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيئة، فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلهاد بظلم. والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء. والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضاً. والخامس: استحلال الحرام تعمداً، قاله ابن جريج"^(٢)، وهذه الأقوال ترجع إلى معنى المعصية على اختلاف في درجاتها ومرتبته.

٢- الملجأ: وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ [الجن: ٢٢] (ولن تجد من دونه ملتحداً)، أي: ملجأ وموئل^(٣).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي - محمود الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤/٢٣٦)، وينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى اليحصبي السبتي (١/٣٥٥)، لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (٣/٣٨٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط دار الكتاب العربي - (بيروت) أولى - ١٤٢٢هـ. (٣/٢٣١).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، أولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. (١٧/٦٥١)

٣- الشق في القبر: كما في الحديث: (ألحدوا لي لحداً)^(١).

٤- الميل عن الحق الواجب اعتقاده: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]
قال ابن قتيبة: "يجورون عن الحق ويعدلون"^(٢).

٥- الميل عن الاستقامة: ﴿لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]
قال الزمخشري: "المعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردًا لقولهم وإبطالا لظعنهم"^(٣).

٦- التكذيب والإعراض: قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]
قال ابن عطية: "واختلف المفسرون في الإلحاد الذي أشير إليه ما هو؟ فقال قتادة وغيره: الإلحاد بالتكذيب، وقال مجاهد وغيره: الإلحاد بالمكاء والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقال ابن عباس: إلحادهم هو أن يوضع الكلام غير موضعه، ولفظة الإلحاد تعم هذا كله"^(٤).

مما سبق يمكن لنا التأكيد على أن معنى الإلحاد الوارد في النصوص هو معنى واسع، حتى فيما يتعلق بالعقيدة؛ نجد أن مفهوم الإلحاد يشمل العديد من المعاني التي يجمعها الخروج عن الحق والميل عما يجب من الاعتقاد فيه.

(١) - صحيح مسلم: حديث رقم ٩٦٦ وراجع شرح النووي على مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار

الكتب العلمية (بيروت)، كتاب الجنائز - باب اللحد ونصب اللبن على الميت، ج ٧ ص ٢٨ - ٢٩

(٢) زاد المسير في علم التفسير: مرجع سابق، (١٧٢/٢).

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، ط دار الكتاب العربي (بيروت) ط.

ثالثة ١٤٠٧ هـ. (٦٣٥/٢).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد

السلام عبد الشافي محمد، ط دار الكتب العلمية - (بيروت) أولى - ١٤٢٢ هـ. (١٨/٥).

ج - منظور التراث الإسلامي:

ويكون بتتبع أقوال أعلام التراث الإسلامي حول دلالة مصطلح (الإلحاد)؛ ونبادر إلى القول بأننا نجد أن إطلاق (الملاحدة) عند علماء الإسلام لا يختص بمن ينكر وجود الله تعالى، وإنما يشمل كل من سلك طريقا مال به عن الحق الواجب في الاعتقاد:

- "فالملحد هو المنحرف، ثم بحكم العرف اختص بالمنحرف عن الحق إلى الباطل"^(١).

- ويقول الزمخشري: "ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه. ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين"^(٢).

- ويقول ابن حجر: "وقيل للمائل عن الدين ملحد"^(٣).

* وقد جاء هذا في استعمال العلماء لوصف الإلحاد، حيث يطلقونه على أصناف مختلفة من أصحاب البدع والأهواء، فعلى سبيل المثال:

- و"يقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادرا على ألا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيرته إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يبقي العباد ويبلغهم ويخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين"^(٤).

- ويقول الآجري: "فإن قال منهم قائل: إن الله تعالى خلق كلاما في الشجرة فكلم به موسى، قيل له: هذا هو الكفر، لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله عز وجل عن ذلك، ويزعم أن مخلوقا يدعي الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه، وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: إنني أنا

(١) التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ثلاثة - ١٤٢٠هـ (٢٧/٥٦٨).

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: مرجع سابق، (٢/٦٣٥)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: مرجع سابق، (٣/٢١٣)

(٤) الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، ط دار الأنصار -

القاهرة، أولى ١٣٩٧هـ، (ص ٢٠٤-٢٠٥)

الله^(١).

- ويقول ابن حزم: "فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله عز وجل"^(٢).
- ويقول التهانوي: "وقال النسفي في عقائده: النصوص محمولة على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد". وقال التفتازاني في شرحه: "سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدتهم بذلك نفي الشريعة بالكلية"^(٣).
- وقد أَلَّفَ الشيخ محمد أنور الكشميري رسالة بعنوان: (إكفار الملحدين في ضروريات الدين)، وأراد بها الرد على الحركة القاديانية، ووصفهم بالإلحاد مع أنهم لا ينكرون وجود الله تعالى، ودعواهم كانت نبوة أحمد غلام القادياني.

ومن خلال هذه الأمثلة - وغيرها أكثر - يلاحظ أن إطلاق وصف الملاحدة لم يكن في الغالب يطلق على من ينكر وجود الله تعالى، خاصة وأن مثل هذه الدعاوى كانت نادرة في التاريخ الإسلامي، بل كان وصف الإلحاد يطلق في الغالب على منكري النبوة أو المخالفين في أصول الاعتقاد والشريعة^(٤).

د- منظور الفكر الغربي:

والحال في أوروبا ربما لا يختلف كثيرا من جهة نشأة واستعمال لفظ الإلحاد، يقول رمسيس عوض: "ويبدو أن كلمة الإلحاد لم تستحدث في أوروبا إلا في القرن السادس عشر، ولكن هذا لا يعني

(١) الشريعة: محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرّي، ط دار الوطن (الرياض)، ثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (١١٠٩/٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ط مكتبة الخانجي (القاهرة)، (٣/١٠٤).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط مكتبة لبنان ناشرون (بيروت) أولى - ١٩٩٦م، (٣٤/١).

(٤) انظر: كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام: عبدالرحمن بدوي، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ثانية ١٩٨٠م، (ص ٥).

بطبيعة الحال عدم وجود ملحدين قبل هذا التاريخ... وقد استحدثت أوروبا في عصر الإصلاح مجموعة من الألفاظ التي تعبر عن الشك في الدين ووجود الله، مثل: الإلحاد والمذهب التأليهي، ورغم وجود كلمات أخرى تشير إلى الإلحاد مثل: الأبيقورية واللوسيانية والمذهب الليبرتاني فقد توقف هذا العصر عن استخدامها، وفي نهاية القرن السابع عشر بدأت أوروبا تستخدم مجموعة أخرى من الألفاظ البديلة من الإلحاد مثل: المادية، والفكر الحر، والإيمان بوحدانية الوجود. ثم جاء القرن التاسع عشر ليشهد استخدام كلمتين أخريين هما: اللا أدرية والفاديزم، ولكن الجدير بالذكر أن هذه الألفاظ لم تكن تستخدم بالمعنى نفسه الذي تستخدم به الآن^(١).

وصار بعد ذلك المعنى الشائع للإلحاد هو إنكار وجود الإله، وانتقل هذا التوصيف الغربي للإلحاد إلى الكتابات الإسلامية، فأصبح لا يطلق في الغالب إلا على إنكار الإله، أو إنكار الأديان، ومن تعريفات الإلحاد بهذا المعنى:

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: "الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط"^(٢).

ويقال في تعريفه: "نفي وجود الخالق المبدع للكائنات"^(٣)، وأشار إلى أن هذا هو المفهوم الغربي للإلحاد.

فهذا النوع من الإلحاد لم يكن معروفا في الجاهليات السابقة، بل هو (بدعة جديدة في الضلالة)، وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع.

ومع ذلك يظل مصطلح الإلحاد مصطلحا واسعا المعنى، وفي هذا يقول جيمس كولينز: "وجهة النظر هذه

(١) الإلحاد في الغرب: رمسيس عوض، ط مينا للنشر (القاهرة)، الانتشار العربي - (بيروت) أولى ١٩٩٧م، (ص ١٧).

(٢) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها: عبدالرحمن عبدالخالق، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ثانية، ١٤٠٤هـ، (ص ٦).

(٣) الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات، ط دار الاعتصام (القاهرة)، (ص ٢١٢).

- يعني الإلحاد - من أكثر وجهات النظر إفلاتا من التعريف، لأن لها في العادة دلالة نسبية، وربما كان أوسع معنى يعزى إلى الإلحاد هو: أنه إنكار للتصور السائد عن الله أو عن الإلهي. ولكن لما كان هذا التصور يمكن أن ينتقل من عصر إلى آخر لم يكن من المستبعد أن تكون ثمة نقلة مناظرة في معنى الإلحاد^(١).

ويقول جميل صليبا: "فليس لهذا اللفظ إذن في التاريخ معنى محدود ثابت لاختلاف مفهومه باختلاف الزمان والمكان"^(٢).

ومن خلال ما سبق يمكننا الخلوص إلى أنه ليس هناك للإلحاد معنى محدد متفق عليه، بل يختلف باختلاف الأزمنة، ونوع المخالفة، وثقافة الناس، وإن كان في مجمله يدور حول مخالفة الدين في أصوله ومحاولة التغيير فيه أو التخلص منه، أو إنكار النبوة من أساسها، وأشد درجاته إنكار وجود الإله.

ومن المفيد التعرف على الفرق بين مصطلح (الإلحاد) ومصطلح (الكفر)؛ فمصطلح الكفر يحمل في طياته الإيمان بشيء (غالباً ما يكون فيه اعتراف بالألوهية حقة كانت أم باطلة)، بخلاف لفظ الإلحاد الذي يحمل في طياته إنكار الألوهية عموماً^(٣).

ونعني بتطور الفكر الإلحادي: انتقاله من مرحلة إلى مرحلة أخرى؛ في الاستدلال وطرق الدعاية، بل والقضايا والمناهج أيضاً.

(١) الله في الفلسفة الحديثة: جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار قباء للطباعة والنشر (القاهرة) ١٩٩٨م، (ص ٣٣٦).

(٢) المعجم الفلسفي، مرجع سابق، (ص ١٢٠)

(٣) انظر: مصر وإعادة البناء الحضاري: مصطفى النشار، ط. دار روابط للنشر وتقنية المعلومات (القاهرة)، ص ١٢٩.

المبحث الأول

الإلحاد القديم قبل الإسلام

من الملاحظ أنّ الدراسات المتعلقة بنشأة الأديان كثيرة ومتنوعة، وتناولت العديد من الجواب بالبحث والتفصيل، إلا أن مثل هذه الدراسات لا يكاد توجد فيما يتعلق بالإلحاد، حيث إن الأبحاث المتعلقة بنشأة الإلحاد وتاريخه قليلة ومحدودة جداً، وكأن الإلحاد ليس جديراً بالدراسة!، حتى إن أستاذ علم النفس الأميركي "بول فيتز" عندما أصدر كتابه (سيكولوجيا الإلحاد)؛ أثار ذلك عدداً كبيراً من علماء النفس واعتبروا الكتاب غير مقبول ومزعج، إذ إن المعتاد في الوسط الأكاديمي هو دراسة علم نفس الإيمان وليس علم نفس الإلحاد^(١).

وبسبب قلة الدراسات في هذا الجانب فإنه من الصعب تحديد بداية واضحة لنشأة الإلحاد، ولكن من الممكن تتبع ظاهرة إنكار الألوهية أو الاعتراض عليها فيما يلي من مطالب:

المطلب الأول: إنكار الألوهية في الأديان الشرقية القديمة.

في الحقيقة وجدت غضاضة في صياغة عنوان هذا المطلب، ذلك أنه مخالف لاعتقادي وما أدين به لله - عز وجل -، فكل مسلم يعتقد بأصالة الوجود الإلهي، وأن وجود الكون كله تابع ويستمد إمداده بالوجود من الله - تعالي -، ولكنني مضطرة لمتابعة من يدعي أن إنكار الألوهية ضارب في التاريخ، حتى نكر على حجته ونفنها.

ونبادر إلى القول بأن الشعور بالمتسامي (الإله - القوة العليا)، شعور أصيل في النفس البشرية لم يخل منه إنسان ما على طول التاريخ، "شعر الناس بتوق إلى المطلق، وأحسوا بحضوره في كل مكان حولهم، وبذلوا جهدهم لتنمية حسهم بهذا التسامي..."^(٢)

(١) الإلحاد مشكلة نفسية: ع. شريف، راجعه وقدم له: أحمد عكاشة، ط دار نيو بوك للنشر والتوزيع (القاهرة) أولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، (ص ١١٤).

(٢) - مسعي البشرية الأزلي إلى الله - الله لماذا؟: كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر - هبة محمود عارف، ط دار سطور (القاهرة) أولى ٢٠١٠م، ص ٤١.

فمهما كانت سداجة المعتقد (الفكر الديني) فهو يسلم بوجود قوة عليا متحكمة ومسيطرة على الكون وما فيه، " وفي هذا الإطار نجد المدى الفسيح الذي يتسع للعديد من التصورات والاعتقادات التي تضم أدنى صور السداجة المتمثلة في القبيلة أو في المجتمع أو في الطبيعة، إلى جانب أسمى التصورات المتمثلة في الاعتقاد في قوة القوي ومسبب الأسباب؛ الذي بيده مقاليد كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله بدءاً ونهاية، أصلاً ومصيراً^(١).

فكل الأمم الشرقية القديمة كانت مؤلّهة - تعتقد بوجود إله - أيّاً كانت طبيعته، ولكن في الأخير كلهم يعتقد بوجود إله.

ومع وضوح هذه القضية إلا أن كثيراً من الباحثين وجدوا في غياب البحث في الألوهية في (البوذية) تكأة للقول بأن هذا الدين ملحد وكانت حجته أن البوذية ليس لها معتقد واضح حول وجود الإله. وقد ظهرت البوذية حوالي (٥٠٠ ق. م) حيث حاول بوذا (٥٦٣-٤٨٣ ق. م.) أن ينقل الفكر من التركيز على الآلهة، والتي كان عددها قد جاوز الآلاف في الهندوسية، إلى التركيز على المعاناة الإنسانية والخلاص منها، فأرجع سبب المعاناة إلى تعلق البشر ورغباتهم، وهي التي تخلق الألم عند عدم تحقق الرغبات، وللتخلص من المعاناة والألم، ينبغي التخلص من الرغبة، وبالتالي الوصول إلى النرفانا^(٢)، أو اللاتعلق، أو اللارغبة. وفيها يتوحد الإنسان بالكون ويذوب فيه.

ومن المثير للانتباه أنه كان يتحاشى الجواب عن الأسئلة الوجودية والتي تتعلق بنشأة الكون ونهايته، ونشأة الإنسان، وبالتالي الكلام عن الخالق والإله، وبنى فلسفته على تجاهل وجود الآلهة تماماً، والاعتماد على الذات في تحقيق المعرفة وطريق الهداية والخلاص، حتى عُرفت البوذية كواحدة من

(١) - الإنسان والأديان - دراسة مقارنة: محمد كمال جعفر، ط دار الثقافة (الدوحة - قطر) أولي ١٩٨٥ م، ص ٢٥.

(٢) مصطلح سنسكريتي يعبر عن حالة انعتاق عقلي وشعوري تتحصل بالتخلي عن إرادة العيش، وعن المصالح الفردية، وعن أوهام الأحاسيس. انظر: موسوعة ويكيبيديا.

الديانات (الأخلاقية) أي التي تركز على الأخلاق والإنسان، وتهمل النظر فيما يتعلق بالإله^(١)، مما يعطي انطبعا حولها بأنها ديانة إلهادية، ولكن الحقيقة أن البوذية لم تنف وجود الإله، ولكنها حركة إصلاحية في الهندوسية - أساساً - ثارت على الطبقية والكهنوت الهندوسي، الذي حجبت طقوسه المعني الحقيقي للدين في نظرهم؛ وهو الخلاص (النيرفانا)، ومن ثم كان اهتمامهم بتنحية هذا الانحراف مع محافظتهم على المحاور الأساسية للفكر الهندوسي، ومنها: (مفاهيم النرفانا - وتكرار المولد - والتناسخ - والألوهية بالضرورة). "ومع ذلك أكد البعض مراراً وتكراراً أن البوذية ليست على الاطلاق ديناً، إنما هي ملحدة؛ لا يمكن ترك هذا القول عالقاً، فالبوذية والبوذية القديمة أيضاً تعتقد بوجود آلهة غير أنها لا تحملهم على محمل الجد، وذلك لكونهم لا يمثلون أي دور للخلاص، ومن ثم فالبوذية ليست ملحدة، بل هي مناقضة للدين.

من هنا نري أنه من الضروري قبل الجواب عن السؤال (ما هي البوذية؟) أن نحدد بوضوح ما هو الدين؟ الدين - عند البوذية طبعاً - هو: السعي إلى خلاص من خارج هذا العالم...، وهذا التحديد يجعل مفهوم الدين غير متعلق بأي تصور عن الله، لكنه لا يقصي طبعاً الآلهة، بل يتضمن شكلاً من أشكال الأديان التي لا آلهة لها على غرار البوذية مثلاً^(٢).

هذا النقل على طوله يقدم حكماً على الادعاء "بأن البوذية ملحدة بمعنى عدم اعترافها بوجود آلهة"؛ بأنه خاطئ تماماً، وقصاري ما يمكن وصم البوذية به بأنها تغفل البحث عن الألوهية في تراثها الديني، ولكنها كغيرها من الفلسفات الدينية الهندية تدور في فلك الهندوسية التي تعترف بوجود آلهة لا حصر لها - باعتبارها ثقافة وحضارة وليس باعتبارها ديناً - بدليل أن البوذية المتأخرة أدرجت بوذا ضمن الآلهة، واعتبرته إلهاً.

(١) ينظر: الموسوعة الفلسفية: لجنة من الأكاديميين السوفيت، إشراف: روزنتال، يودين، ترجمة: سمير كرم، ط. دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت) (ص ٩١-٩٢).

(٢) - مدخل إلى البوذية: كونراد مايزيغ، ترجمة المطران كيرلس سليم بسترس، ط المكتبة البوليسية (بيروت) ط.

فالبوذية - في أصلها - ليس لها آلهة خاصة بها، وهي في نفس الوقت لا تنفي وجود آلهة الآخرين.
فالزعم بأن هناك ديناً ملحدًا، قول متناقض في ذاته، فالدين لا يسمى ديناً إلا إذا كان هناك تصور
ما عن قوة عليا أيضاً كان هذا التصور.
مما سبق يمكننا التأكيد بكل ثقة أن الأمم الشرقية القديمة مؤلّهة، ولم يكن إنكار وجود إله ثقافة
سائدة أو حتى معروفة فيها.

المطلب الثاني: إنكار الألوهية في الفلسفة اليونانية.

بسبب غياب التصور الصحيح عن الألوهية والغيب في بلاد اليونان، وذلك لغياب رسالة إلهية توجهت إليهم - فيما نعلم -، كان الهجوم على الآلهة الواردة في الملاحم اليونانية شائعاً، ولم يكن يلقي معارضة شديدة من المجتمع اليوناني، " وكان هذا الهجوم على العقائد الدينية الموروثة هجوماً في الوقت نفسه على ثقة الناس بالشعراء القدماء، وبالشاعر هوميروس... لأنه عزا إلى الآلهة أعمالاً لو نسبت إلى البشر لألحقت بهم العار والشنار، ولم يتحرك أحد فيما نعلم - ليحول دون مهاجمة الناقد للعقائد الموروثة"^(١).

فنقد الآلهة أو الثورة على ما جاء في الملاحم الإغريقية من تصورات عن الآلهة، لا يمكن عده إلحاداً - بالمعنى الحديث للكلمة -، وذلك لأنه يتضمن معني الإنكار للألوهية الفاسدة، ولا يصرح بنفي الألوهية الحقة.

وقد كانت الحركة العقلية المتمثلة في الأفكار الفلسفية تموج في بلاد اليونان وتضطرب، وشهدت فترة الخمسة قرون ما قبل الميلاد ظهور العديد من المذاهب والأفكار التي نسب بعضها إلى الإلحاد، ومن أبرز هذه المذاهب التي اتهمت بالإلحاد:

١- السوفسطائية: معنى كلمة (السوفسطائي) أي: المعلم، أو الرجل الحكيم الذي أثبت أمام الجمهور قوة باعه في الأمور العقلية وأظهر مهارته في الخطابة.

وقد بدأت هذه المدرسة في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، واشتهرت بالتركيز على الإنسان خلافاً لما كان سائداً في الفلسفة اليونانية من التركيز على الطبيعة، حيث اعتبروا أن فهم الكون يبدأ من داخل الإنسان، فالكون مشكل، وفهمه متعسر، والعقول مختلفة فيه، فلا حقيقة فيه إلا الإنسان، واشتهرت عبارة بروتاغوراس (ت: ٤١١ ق. م): "الإنسان هو مقياس كل شيء"، وبدأت بذور مذاهب الشك والنسبية من هذه المدرسة، وقد نسبت إلى بروتاغوراس بعض المقولات التي

(١) - حرية الفكر: ج. بيور، ترجمة محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم: إمام عبد الفتاح إمام، ط. المركز القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠١٠م، ص ٣٠.

توحي بإنكار وجود الآلهة، ولكن يصعب التأكد من ثبوتها نظراً لأن المنقول إنما هو مجرد شذرات من كلامه، ونقلت كذلك بعض النصوص عن بعض السوفسطائيين من أمثال غورغياس، وأنطيفون، وفيها إشارات إلى التشكيك بوجود الآلهة وكذلك ترجيح العمل بقوانين الطبيعة على قوانين الشريعة، إلا أن هذا كله لا يعطي تصوراً واضحاً حول ما إذا كانوا يتبنون الإلحاد - بمعنى نفي الوجود الإلهي - كمذهب لهم أم لا^(١).

وقد سبق القول بأن التشكيك في وجود الآلهة الباطلة الوارد أخبارها في الملاحم الإغريقية لا يعد إلحاداً بالمعنى الحديث للكلمة، بل يعد نوعاً من الثورة على الخرافة والحكايات الباطلة، ولا يمكن الجزم بأنه نفي للوجود الإلهي تماماً كما يحلو للبعض أن يدعي.

وقد ذكر عدد من المتكلمين في الفرق هذه الطائفة، ونسبوا إليها مذهب الشك في المحسوسات، وأن الحقيقة هي ما يتصوره الإنسان، وممن نقل عنهم مثل هذه الأقوال ابن حزم وناقشهم فيها^(٢)؛ وهذه النقول أيضاً لا ترقى إلى مرتبة الدليل على إنكارهم الوجود الإلهي أيضاً.

٢ - المدرسة الذرية: بدأت فكرة أن الذرات عنصر أوحد وأساسي للكون في الظهور على يد ديموقريطس (٤٧٠-٣٦١ ق.م)، وعرف بأنه صاحب مذهب الجوهر الفرد أو المذهب الذري، وقد رحل إلى بلدان كثيرة، وألف موسوعة كبرى في أنواع العلوم، ولم يصل منها إلا شذرات متفرقة^(٣).

وقد فهم البعض أن ديموقريطس يرى عدم وجود الآلهة، وهناك من يشير إلى أن كلامه قد وقع فيه تناقض واضطراب، لكن ليس هناك ما يكفي من الشواهد لتأكيد هذه الآراء أو نفيها، خاصة وأن

(١) انظر: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون: عزت قرني، ط (جامعة الكويت) ١٩٩٣م، (ص ٨٣٠-١٠٢)، مع الفلسفة اليونانية: محمد عبدالرحمن مرحبا، ط منشورات عويدات، بيروت ثالثة، ١٩٨٨م، (ص ٨٩-٩١)، فلاسفة اليونان، العصر الأول: جعفر آل ياسين، ط مطبعة الإرشاد (بغداد) ١٩٧١م، (ص ١٢٣-١٣٩).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: مرجع سابق، (١/١٤).

(٣) دروس في الفلسفة: يوسف كرم، إبراهيم مدكور، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع (القاهرة) أولى ٢٠١٦م، (ص ٦٩-٧٠).

الذي وصل من كلامه شيء يسير جدا، والذي يبدو أنه لم ينكر وجود الآلهة، وإنما أنكر تدخل الآلهة في الحياة، ولهذا كان من مبادئه: عدم الخوف من الآلهة^(١).

ثم جاء بعده أبيقور، وسلك نفس مذهب ديمقريطس المادي مع شيء من المخالفة له، وكان أيضا ماديا في الأخلاق، ولكنه سعى لتلطيف ماديته، وفسر السعادة والدين والعلاقات الاجتماعية والأخلاق، وتوسع في أمر اللذة دون حياء حتى صار لفظ (أبيقوري) مرادفا للفظ المستهتر^(٢).

وأما من حيث موقفه من إثبات الإله فإن أبيقور - فيما يبدو - لم ينكر وجود الآلهة، بل اعترف بالآلهة لا تُعد، ولكنه قال إن لها أشكال الإنسان لأن شكله أجمل شكل في الوجود، وهم يأكلون ويشربون ويتكلمون اللغة اليونانية، وجسمهم يتكون من عنصر كالضوء، وهم يعيشون عيشة سعيدة أبدية، ولا يتدخلون في شئون هذا العالم، ولهذا فلا معنى للخوف منها، علاوة على أنه أنكر الحياة بعد الموت، واعتبر أن الموت هو نهاية كل شيء فلا حاجة للخوف منه أو مما بعده^(٣).

ومما يدل على أن الإلحاد كان موجودا في تلك الفترة؛ أن أفلاطون جاء بعد ذلك وتحدث عن الإلحاد، وقسمه إلى ثلاثة أشكال:

١ - إنكار وجود الإله.

٢ - الاعتقاد بوجود الآلهة مع إنكار العناية الإلهية بالشئون الإنسانية.

٣ - الاعتقاد بأن الآلهة يمكن استجلاب رضاها بالقرابين والدعوات^(٤).

(١) ديموقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة: على سامي النشار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، (ص ٨٧-٨٩).

(٢) دروس في الفلسفة: (ص ١٢٥-١٢٨).

(٣) قصة الفلسفة اليونانية: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ط مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط. ثانية ١٩٣٥م، (ص ٣٠١-٣٠٢).

(٤) انظر القوانين: أفلاطون، ترجمه من اليونانية للإنجليزية: تيلور، وترجمه إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م (ص ٤٥٣).

وهذا التقسيم الذي ذكره أفلاطون يشير - في ظاهره - إلى أن الإلحاد كان موجودا لدى الفلاسفة اليونانيين، وله العديد من الأتباع والمنظرين، ويذكر أفلاطون أن هذه الظاهرة وجدت في كل زمن، فيقول مخاطبا الملحد: "ولست أنت نفسك ولا أصدقاؤك أول الأشخاص، ولا الأشخاص الوحيدين الذين يعتقدون هذه العقيدة كمبدأ لكم عن الآلهة، كلا؛ ففي كل عصر تجد هناك من قاسى من ذلك المرض كثيرون كانوا أو قليلون"^(١).

ولكن في الواقع هذه النصوص عن أفلاطون لا تثبت وجود إلحاد بالمعنى المعاصر - إنكار معني الألوهية كلية -، بل قصارى ما يدل عليه وجود صراع فكري وأيدلوجي بين أنصار الألوهية الملحمية (الآلهة ذات التمثل البشري) وبين المنكرين لهذا اللون من الألوهية، وعلي فرض دلالاته على الإلحاد، فلم يكن إلا مذهب جماعات صغيرة لا ترقى أن تصم الأمة اليونانية بأسرها بالإلحاد، وهذا بلا شك لا يثبت وجود نفي لمعني الألوهية جملة، وتبقي المسألة في دائرة الاحتمال لعدم الدليل القاطع بإلحادهم أو إيمانهم.

(١) القوانين: مرجع سابق، (ص ٤٥٢).

المطلب الثالث: إنكار الألوهية عند العرب قبل الإسلام.

وأما بالنسبة للعرب فقد ذهب بعض العلماء إلى أن الإلحاد كان موجودا لدى أفراد منهم، وقد عقد الشهرستاني فصلا بعنوان: (معطلة العرب)، قال: "وهم أصناف: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة. وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(١)... وصنف منهم أقرؤا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن: ﴿وَوَضَّرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٢)... وصنف منهم أقرؤا بالخالق، وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقربوا المقرَّبين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلوا وحرموا، وهم الدهماء من العرب"^(٣).

وهذا التصنيف يدل على أن الإلحاد بمعنى نفي الإله لم يكن إلا قول شرذمة قليلة منهم، ولم يكن مذهباً معروفاً لديهم، هذا إذا كان تصنيف الشهرستاني مبنياً على معلومات تاريخية، أما إذا كان مجرد استنباط من الآيات؛ فقد تقدم أن هذه الآيات لا تدل صراحة على كونهم ملاحدة، ولا تعطي هذه الدلالة بصورة قاطعة، فإنها تقطع فقط بأن القوم المشار إليهم ينكرون البعث، ولكنها لا تقطع بأنهم ينكرون وجود الله.

والمعروف عن العرب أنهم ورثوا دين إبراهيم عليه السلام حتى دخلت عليهم الوثنية، وحتى بعد دخول الوثنية فإنهم ظلوا على تعظيم كبير لله تعالى، ومثل هذا الحال يستبعد معه الوصول إلى درجة الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله تعالى.

وقد تتبع الباحث "حسني يوسف الأطير" القول بوجود مذهب نفي الألوهية عند العرب

(١) سورة الجاثية: ٢٤

(٢) سورة يس: ٧٨

(٣) الملل والنحل، الناشر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط مؤسسة الحلبي، (٣/ ٧٩-٨٠).

بالتفنيد والدحض، وقال ملخصاً عمله: "فإن غايتنا من هذا البحث أن نثبت أنه لم يوجد بين العرب قبل الإسلام من دان بالمذهب الدهري المنكر للألوهية، بل كانوا جميعاً مقرين بها، وإن اختلفت تصوراتهم حول الوحدانية والتعدد، وعلاقة الخالق بخلقه"^(١).

وقد وضح الأطير أن علماء الفرق والمقالات لم يلتزموا الدقة في تفصيل مذهب المعطلة، وخطوا بينهم وبين القائلين بمختلف الآراء التي لا تتوافق مع ما جاء به الإسلام وتبناه الفكر الإسلامي، وضرب مثلاً بالخلط بين المعطلة وبين القائلين بقدوم الأجسام مع إثباتهم الصانع^(٢)، فلم يكن الأمر في غاية الوضوح كما يُظن؛ بل الأمر مختلط، وغاية ما وصلنا عن العرب أنهم انحرفوا عن التصور الصحيح عن الألوهية فعبدوا الأصنام ظناً أنها تقربهم إلى الله زلفى وهكذا..

وهذه النظرة في التاريخ القديم قبل الإسلام تعطينا تصوراً عن أن الإلحاد لم يتمثل في مذهب معين بصورة واضحة، وهذا الذي حدا بكثير من العلماء إلى نفي وجود القول بالإلحاد - بمعنى نفي الألوهية عموماً - لدى الأمم السابقة:

فيقول الشهرستاني: "أما تعطيل العالم عن الصانع القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شردمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبنوثة تتحرك على غير استقامة واصطكت اتفاقاً فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه... ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازاً عن التعليل"^(٣).

وهذا التصريح من الإمام الشهرستاني بعدم وجود من يستسيغ عقله إنكار وجود الإله - فيما أحسب - ناقد لكلامه عن العرب وغيرهم في نفي الوجود الإلهي.

(١) - المذهب الدهري عند العرب: حسني يوسف الأطير، ط دار البيان (القاهرة) أولي ١٩٨٤م، ص ١٤.

(٢) - المرجع السابق: ص ٦٤.

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى / ١٤٢٥هـ.

ولا يفوتنا أن نؤكد على أمر بالغ الأهمية؛ أنه يوجد فرق ضخم بين إنكار الألوهية رأساً، وبين إنكار الخالق أو إنكار أية عقيدة أو إخبار ديني آخر، فنفي الصانع لا ينفي بالضرورة وجود الإله، بل قصارى ما يدل عليه تصور شاذ عن علاقة الإله بالخلق والمخلوقين، ولا يمكن الحكم على معتقده بالإلحاد بالمعنى المعاصر، وكذلك من ينكر البعث أو أي عقيدة دينية أخرى؛ فهو في الاصطلاح الصحيح ليس ملحداً - بمعنى إنكار وجود إله -؛ بل هو منكر لشيء آخر، وبالتالي لا يمكن اعتباره ملحداً بالمعنى المعاصر للكلمة.

ومما سبق يمكننا أن نقرر أن نفي الألوهية رأساً لم يشتهر عن العرب، ولم يكن له أنصار بينهم

- على التحقيق -.

المبحث الثاني

الإلحاد في الفكر الإسلامي

حاول الملاحدة اكتساب نوع من المشروعية في المجتمعات الإسلامية فزعموا وجود جماعات من الملاحدة في الحضارة الإسلامية، كانوا هم قادة الرأي والفكر وأساطين العلم، ولذلك فالطريق الصحيح اطراح الدين والأخذ بأساليب التفكير النقدي - حسب رؤيتهم - حتى تنهض الأمة وتعود إلى سابق عهدها من المجد العلمي والحضاري. وهذا كلام مضلل لا يعبر عن الحقيقة أو السبيل الصحيح المستقيم كما سيتضح مما يلي من مطالب:

المطلب الأول: الرؤية الإلحادية للإلحاد في الحضارة الإسلامية.

عبثاً حاول الملاحدة التأصيل للإلحادهم في التاريخ الإسلامي واتبعوا سبيلاً واضحاً في نسبة الإلحاد لمجموعة من المفكرين، ومن أبرزهم:

١- **عبدالله ابن المقفع (ت: ١٤٥هـ-)**: كان مجوسياً، وأسلم على يد عيسى عم الخليفة المنصور، وله العديد من المؤلفات الأدبية، ومن أشهرها: (الدرة اليتيمة) و(كليلة ودمنة) وقيل: إنه قام بتعريب هذا الكتاب من الفارسية، وقد وقع الخلاف الكبير حول حقيقة ما كان يعتقد، حيث اتهمه البعض بالزندقة، واتهم بمعارضة القرآن، ودافع عنه آخرون، إلا أن الظاهر في شأنه أنه لم يكن ملحدًا بمعنى إنكار وجود الخالق، إنما غاية ما في الأمر - لو ثبت هذا عنه - أنه كان عنده انحراف في شأن النبوة والتزام أحكام الدين، ومما تجدر الإشارة إليه أن قتله لم يكن بسبب ما نسب إليه، وإنما كان بسبب خلافه مع سفيان بن معاوية أمير البصرة، وانضاف إلى هذا كتاب الأمان الذي صاغه لعبدالله بن علي، وفيه ذكر إلزام الخليفة المنصور بهذا الأمان بطريقة أثارت المنصور فأوعز إلى سفيان بقتله فقتله^(١).

(١) ينظر في الكلام عنه: المتتظم في تاريخ الأمم والملوك: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م (٨/ ٥٢)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ١٩٠٠- ١٩٩٤م (٢/ ١٥١)، البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة

٢- ابن الراوندي: ولد سنة ٢١٠هـ، واختلف في وفاته، فقيل: توفي وعمره ٣٦، وقيل: توفي وعمره ٨٤، قال الذهبي: "الملحد، عدو الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي، صاحب التصانيف في الحط على الملة، وكان يلزم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب، قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم".

وقد تكلم عليه ابن الجوزي بكلام طويل، فقال: "قد كنت أسمع عنه بالعظام حتى رأيت ما لم يخطر مثله على قلب أن يقوله عاقل، ووقعت على كتبه فمنها: كتاب "نعت الحكمة"، وكتاب "قضيبي الذهب"، وكتاب "الزمرد"، وكتاب "التاج"، وكتاب "الدماغ"، وكتاب "الفريد"، وكتاب "إمامة المفضول"، ثم ذكر العديد من الشواهد من كلامه المتضمن للطعن في الإسلام وفي القرآن وفي النبوة، وهي أشياء لا يمكن أن تصدر عن مؤمن موحد.

وقد تتابع العلماء والمؤرخون على وصفه بالزندقة والإلحاد، حتى المعتزلة الذين كان واحدا

منهم^(١).

٣- أبو بكر الرازي: محمد بن زكريا الطبيب (ت: ٣١١هـ) وقد كان من أشهر وأمهرا الأطباء، وله العديد من الكتب في الطب وغيره، وقد اتهمه عدد من العلماء بالإلحاد، فذكر ابن حزم بعض أقواله، كالقول بتناسخ الأرواح، وعقيدته في القدماء الخمسة: واجب الوجود، والنفس، والهيولى، والدهر، والخلاء،

والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (١٣/٣٨٤)، سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (٦/٢٠٨)، وهذا مقال للدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن ابن المقفع:

<https://vb.tafsir.net/tafsir15307/#.XmIeE6jXLIU>

وهذا مقال آخر لرضا البطاوي في صحيفة دنيا الوطن يدافع فيه كذلك عن ابن المقفع، وأورد العديد من الشواهد من كلامه تدل على أنه لم يكن ملحدًا بل على العكس من ذلك تمامًا:

[https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/472218.html\(h\)](https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/472218.html(h))

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (١٣/١٠٨-١١٧)، وسير أعلام النبلاء، (١٤/٥٩-٦٥)، والبداية والنهاية، (١٤/٧٦٤-٧٦٧).

وذكر أنه قد رد على كتابه: (العلم الإلهي)^(١).

وقد تكلم الدكتور س. بينيس في كتابه (مذهب الذرة عند المسلمين) على مذهب الرازي بالتفصيل، وذكر قول الرازي: إن القدماء أو الجواهر خمسة: الباري والنفس والهيولى والزمان والمكان، وكان مما قاله في شأن الرازي: "هو معروف عندنا - أي: الأوروبيين - بأنه من أكبر مفكري الإسلام وعباقرته، ولا أستطيع هنا بيان تأثيره كطبيب من أكبر أطباء الإسلام، وكفيلسوف، وعالم بالكيمياء، وكملحد كبير"^(٢).

والغريب في أمره أن أبرز من ردَّ عليه هم الإسماعيلية، مثل: ناصر خسرو، كما يذكر الدكتور بينيس، وكذلك أبو حاتم الرازي أحمد بن حمدان الورداني الإسماعيلي في كتابه: (أعلام النبوة)، وسماه ملحدًا^(٣)، ويذكر طرايشي في مقدمة تحقيقه لكتاب (أعلام النبوة) أن الرازي كان محل انتقاد من الكثير من الفلاسفة والباطنية!، فيقول: "فزملاؤه التالون من الفلاسفة أصدروا عليه حكم إعدام فلسفي، مع إقرارهم له بتجليته كطبيب، وهكذا دمغه ابن سينا في معرض أجوبته عن أسئلة البيروني، بأنه ذلك المتكلف الفضولي الذي بلغ الغاية في المعالجات الطبية، ولكنه عندما تجاوز قدره في بطِّ الجراح والنظر في الأوبال والبرازات وتصدى لشرح الإلهيات، تكلم بالعوراء والخبائث، وفضح نفسه وأبدى جهله فيما حاوله ورامه.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، (١/١٠، ٣٥، ٧٧).

(٢) مذاهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، ترجمة: محمد عبد الهادي، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، (ص ٣٦).

(٣) لكن من المهم هنا التنبيه على أنه لم يسم من هو هذا الملحد، وإنما ذكر آراء الرازي، وقد وقع المحقق (جورج طرايشي) في تقصير كبير عندما اكتفى بقوله: "ومع أن الصفحة الأولى من النسخ المخطوطة قد سقطت وغاب بالتالي اسم الشخص الذي يتصدى مؤلف (أعلام النبوة) للرد عليه، فلا داعي للشك - لأسباب لا يتسع المجال هنا للخوض فيها- في أن من يسميه أبو حاتم في سائر فصول كتابه "الملحد" هو محمد بن زكريا الرازي". (ص ٩)، وكان الواجب على المحقق ذكر هذه الأسباب ولو طالت المقدمة، إذ إن هذا هو من صميم عمل التحقيق!

و كان ذلك أيضا موقف ابن ميمون القرطبي الذي خصه في كتابه (دلالة الحائرين) بفقرة جاء فيها: "للرازي كتاب مشهور وسَمَّه بالإلهيات ضمَّنه من هذياناته وجهالاته عظام"، ثم عاد يؤكد في رسالته إلى ابن طبون - مترجم كتاب دلائل الحائرين إلى العبرية- أن "كتاب العلم الإلهي الذي ألفه الرازي عديم الفائدة، لأن الرازي كان طبيبا فقط"، ولم يكن حظ الرازي مع كبار مصنفي تواريخ الفلسفة في المأثور العربي الإسلامي بأحسن حالا، فقد تناقلوا جميعهم بدءًا بالقفطي وانتهاء بابن أبي أصيبعة الحكم الصارم الذي كان أصدره عليه صاعد الأندلسي في كتاب (طبقات الأمم) الذي وضعه سنة ٤٦٠ هـ - عندما أشاد به بوصفه طبيبا للمسلمين غير مدافع، ولكن ليضيف حالا: "إلا أنه لم يوغل في العلم، ولا فهم غرضه الأقصى، فاضطرب لذلك رأيه، وتقلد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة"^(١).

٤- أبو حيان التوحيدى (ت ٤١٤ هـ -): يقول الذهبي في ترجمة أبي حيان التوحيدى: "الضال الملحد، أبو حيان على بن محمد بن العباس البغدادي، الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، ويقال: كان من أعيان الشافعية.

قال ابن بابي في كتاب (الخريدة والفريضة): كان أبو حيان هذا كذابا، قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأموال جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل، ولقد وقف سيدنا الوزير صاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغله ويخفيه من سوء الاعتقاد، فطلبه ليقته، فهرب، والتجأ إلى أعدائه، ونفق عليهم تزخره وإفكه، ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته، وما يبطنه من الإلحاد، وبيرومه في الإسلام من الفساد، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح، ويضيفه إلى السلف الصالح من الفضائح، فطلبه الوزير المهلبى، فاستتر منه، ومات في الاستتار، وأراح الله منه، ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدى، وأبو

(١) مقدمة كتاب (أعلام النبوة): جورج طرابيشي، ط دار الساقى، (بيروت)، المؤسسة العربية للتحديث الفكري (جنيف) أولى، ٢٠٠٣م، (ص ٧-٨).

العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مجمع ولم يصرح^(١). ونقل الذهبي بعض كلام من مدحه: " قال الشيخ محيي الدين في (تهذيب الأسماء): أبو حيان من أصحابنا المصنفين ..

وقال ابن النجار: له المصنفات الحسنة (كالبصائر)، وغيرها، قال: وكان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة"^(٢).

وقد دافع السبكي عن أبي حيان فقال: "قلت الحامل للذهبي على الوقعة في التوحيدي مع ما يبطنه من بغض الصوفية هذان الكلامان (يعني كلام ابن بابي وكلام ابن الجوزي)، ولم يثبت عندي إلى الآن من حال أبي حيان ما يوجب الوقعة فيه ووقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوي النفس مزدريا بأهل عصره لا يوجب هذا القدر أن ينال منه هذا النيل، وسئل الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عنه فأجاب بقريب مما أقول"^(٣). وممن ترجم له وذكر فيه ثناء ولم يذكر قدحا: - الإسنوي في طبقات الشافعية^(٤).

- الشيرازي في شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار^(٥).

- ياقوت الحموي في معجم الأدباء وأطال في ترجمته^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء، (١٧/١١٩-١٢٠)

(٢) سير أعلام النبلاء، (١٧/١٢٢).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض) ثانية، ١٤١٣هـ، (٥/٢٨٨).

(٤) طبقات الشافعية: عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط دار الكتب العلمية، أولى ٢٠٠٢م (١/١٤٤-١٤٥).

(٥) شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار: الجنيدي بن محمود بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد القزويني، وعباس إقبال، ط مطبعة المجلس (طهران) ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، (ص ٥٣-٥٥).

(٦) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط. دار الغرب الإسلامي (بيروت) أولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م (٤/٢٨٧-٣١٤).

ومن خلال هذا يتبين أنه ليس هناك اتفاق على وسم التوحيدي بالإلحاد، بل الخلاف في هذا شديد جدا، وهناك من يؤكد بأن مؤلفات التوحيدي تتضمن تعظيم أهل الحديث وتعظيم السلف، وفيها نقد لأهل الكلام - مع موافقته لهم في مواضع -، ومن الممكن القول بأنه من الصعب الجزم بما نسبه له الناقدون له، وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: أنه قد وجد خلاف بين التوحيدي وبين الوزير ابن عباد، ولم يكن سببه الرأي، وإنما يرجع إلى عدم إعطاء ابن عباد للتوحيدي ما كان يصبو إليه، فرجع بذمه وألف فيه كتابا، فيبدو أن ابن عباد قابل الطعن بالطعن، وهذا ما يمكن أن نستشفه من كلام ابن بابي الذي نقله الذهبي.

الثاني: أن التوحيدي كان شخصية جريئة في آرائها مع وجود نوع من الاضطراب، وكان كثير الدم لحاله وعدم الرضا بما هو عليه، وهذا يجعل منه شخصية قابلة للدخول في خصومات وخلافات مع الآخرين مما قد يحمل الآخرين على فهم مواقفه وآرائه بطريقة مختلفة.

الثالث - وهو السبب الأهم -: أن التوحيدي أحرق كتبه في حياته، والذي نُقِلَ هو مما كتب عنه قبل ذلك، وهذا يجعلها عرضة لوقوع الخطأ فيها.

ويبقى أن هذه الشخصية من الشخصيات الجدلية التي يصعب تحديد موقف واضح منها، لكن الذي يمكن الجزم به أن التوحيدي لم يكن ملحدا بمعنى نفي الإله أو حتى إبطال الدين، وإنما غاية ما نسبه إليه الناقدون له الطعن في الصحابة، وبعض الآراء الغريبة، حتى أن ابن الجوزي في عبارته السابقة يصرح بأن كلام التوحيدي لم يكن صريحا في الزندقة والإلحاد.

٥- أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٣٦٣-٤٤٩ هـ)، وهو من الشخصيات الجدلية التي دار الكثير من الخلاف حول حقيقة ما يعتقد ويراه منذ أن كان على قيد الحياة إلى يومنا هذا، فقد طعن فيه الكثير من أهل السير والأخبار ومن أهل العلم والدين، وعدوه من الملاحدة والزنادقة، واشتهر وصفه بالزنديق مقترنا ببعض الشخصيات الشبيهة بحاله مثل: ابن الراوندي، وأبي حيان التوحيدي، وقد تقدم الكلام فيهما، حتى قال ابن كثير في ترجمته: "أبو العلاء

المعري التنوخي الشاعر المشهور بالزندقة^(١)، وقد ساق المترجمون له عددا من مواقفه وأبياته التي تتضمن الشك في الدين والسخرية والاستهزاء ببعض أحكامه وكذلك الأديان والنبوات، ومن أمثلتها: يقول الحموي: "ومن أشعاره الدالة على سوء اعتقاده قوله في لزوم ما لا يلزم (وهو أحد كتبه):

وهيهات البرية في ضلال وقد نظر اللبيب لما اعترها
تقدّم صاحب التوراة موسى وأوقع في الخسار من اقترها
فقال رجاله وحي أتاه وقال الناظرون بل افتراها
وما حجّبي إلى أحجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذراها
إذا رجع الحلّيم إلى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها
ومنها أيضا:

خذ المرأة واستخبر نجوما تمرّ بمطعم الأري المشور
تدلّ على الممات بلا ارتياب ولكن لا تدلّ على النشور"^(٢).

وغير هذا الكثير من الأبيات، ولعل أكثر هذه السقطات هي في كتابه (لزوم ما لا يلزم) كما قال الميمني - وهو من المدافعين عن المعري -: "لا غرو أن له كثيرا من الشعر في (اللزوم) و(استغفر) مما يرمي إلى المروق كالاغراض على حكمة الباري سبحانه وإرادته الخير، وإنكاره النبوات، والاستخفاف بأنبياء الله وبالشرائع، وإنكار البعث والمعاد، والقول بقدم العالم، والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزهر ثم يذبل، وجناية الوالد على الأولاد، وتحريمه أكل كل ما لا ينبتة الأرض كاللحم واللبن والجبن والعسل، واختياره إحراق الميت على دفنه، وغيره مما يطول بنا سرده، لكن لا يوجد له شيء في غير اللزوم من هذا النحو"^(٣).

(١) البداية والنهاية، (١٥/ ٧٤٥)، وينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (١٦/ ٢٣-٢٧)، سير أعلام النبلاء، (١٨/ ٢٥-٣١).

(٢) معجم الأدباء: الحموي، (١/ ٣٣٥-٣٣٩).

(٣) أبو العلاء وما إليه: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، (ص ٢٢٠).

وفي المقابل دافع الكثيرون عن المعري وألف في الدفاع عنه مؤلفات، ومن أبرزها:

- (الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري) لأبي القاسم عمر بن أحمد الشهير بابن العديم (ت: ٦٦٠هـ).
- (أبو العلاء وما إليه) لعبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي (ت: ١٣٩٨هـ).
- (أباطيل وأسما) لأبي فهر محمود شاكر (ت: ١٤١٨هـ).

واستند المدافعون عنه إلى أن كثيرا مما نسب إليه مشكوك في ثبوته وصحة نسبه إليه، وما ثبت عنه قد يكون قاله في حال معين أو على سبيل حب الظرف والاستطراف فأنشأ شعرا في جميع الأبواب، وبدل لهذا بقية مؤلفاته التي ليس فيها شيء من هذه القبائح، مع دلالة حاله على عدم اعتقاده هذه القبائح، فالذي يعتقد مثل هذه العقائد لا يمكن أن يكون على مثل الحال الذي كان عليه المعري من التدين والمحافظة على الصلاة والبعد عن المحرمات، وهذا دليل على عدم اعتقاده هذه الأمور، حتى إن كبار أهل عصره شهدوا له ولم يتكلموا عنه بسوء، يقول الميمني: "ولم أر في معارفه وهم خلق لا يحصون أحدا قرفه بما قرفه به الأجنب، وهذا لعمرى عجب عجب، وهذا التبريزي وغيره من التلامذة وغيرهم من زوّاره بالمعرة، ومنهم شيخ الإسلام الصابوني والقاضي عبدالوهاب المالكي، ومن البغاددة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الاسفرائيني المجدد، قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفائه ووده، والأندلسيون معروفون بالصلاة في أمر الدين ولم أر لهم كلمة في القذف، وما ذاك إلا ضنا منهم بدينهم أن يتهموا بريئا فظهر مصداق قول ابن العديم: إن الذين لقوه وصفوه بكل جميل، والذين لم يلقيه ولا عرفوه رموه بكل قبيح"^(١).

وهذه الحجج لها حظها من النظر في مقابل قوة ما استند إليه الطاعنون عليه من أقواله وأبياته، مما يجعل الناظر يتردد في حقيقة ما كان عليه، إلا أن الذي يكاد يجزم به الباحث أن المعري كان شخصا يعاني من نظرة تشاؤمية للحياة أثرت في عدد من أفكاره، وأورثته نوعا من الحيرة والشك والاضطراب الذي يظهر في عدد من أبياته وكلماته، مع تأثره بعدد من الأفكار الفلسفية المنحرفة.

(١) عبدالعزيز الميمني، أبو العلاء وما إليه، (ص ٢٢٣-٢٢٤).



وفي المقابل لا يمكن أن يقال عنه إنه كان من الملاحدة الذين ينكرون وجود الله تعالى، بل إيمانه بوجود الله تعالى أمر ظاهر في أحواله وأقواله، بل كان على قدر كبير من الديانة والتحفظ واجتناب المناهي الشرعية والمحافظة على الواجبات.

لكن محل الإشكال الأكبر هو في مدى ما وصل إليه من شك وتردد وتأثر بالأفكار الفلسفية المنحرفة، وهل وصل إلى حد إنكار النبوة حقاً؟ وهل هو معترض على شريعة الإسلام غير معتقد لصحتها؟ هذه أسئلة يصعب الجزم بجوابها، والله أعلم.

المطلب الثاني: نقد الرؤية الملحدة حول وجود الإلحاد في التاريخ الإسلامي.

جاء الإسلام مختلفاً عن الرسائل السابقة إلى حد كبير، فبخلاف الرسائل السابقة التي اعتمدت في ثبوتها على المعجزات إلى حد كبير، جاء الإسلام معتمداً في ثبوته على الحجة العقلية بالدرجة الأولى، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"^(١).

ومن هنا فقد تميز الإسلام بقوة حججه ووضوح براهينه، خاصة فيما يتعلق بأصول الديانة والاعتقاد، الأمر الذي لم يعط المجال للطعن فيه، وحتى الطعون التي وجهت إليه تم دحضها بقوة ولم تتمكن من الثبات أمام قوة حججه وبراهينه.

وفي الحقيقة كانت عظمة الإسلام تبهر العقول وترضي العواطف، فلم يكن الإنسان يملك أمام جلال الحق إلا التسليم والإذعان والتسليم، بيد أن هناك مجموعة من العوامل جعلت من ثبات المعتقدات أمراً بالغ الصعوبة، ما حفز مجموعات من الناس قلقاً تسعى لرؤية جديدة للدين وعلاقته بالدنيا؛ وذلك بسبب اهتزاز المثال والتوتر الذي ساد العلاقة بين الواقع في مجتمعات المسلمين وبين المثال الذي مثلته الشريعة الإسلامية، فبسبب التوترات بين المذاهب الإسلامية وجور القائمين على السلطة بعد عصر الراشدين، وتمسحهم بالسنة النبوية، وبناء طغيانهم على أسس دينية، ثار هؤلاء على الدين بحجة أنه هو المسؤول عن هذا الوضع المتردي الذي وصل إليه المسلمون؛ وفاتهم أن الإسلام كدين ليس مسؤولاً أبداً عن حال أتباعه، ومدي تطبيقهم لهديه من عدمه.

ويشهد لما سبق من أن القلق الذي ساور مجموعات من المسلمين (عامة ومفكرين) ما هو إلا نوع من الاعتراض على الواقع المزري، ولكنهم ما أجادوا الاعتراض، وانحرف بهم الشيطان عن طريق الحق، ولذلك فمن الجور في الحكم أن نصمهم بوصف الإلحاد بمعناه الغربي فهم ما أنكروا

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، (٦/١٨٢) (٤٩٨١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/١٣٤) (١٥٢).

وجود الإله بل ويا للمفارقة أن نجد منهم من يحاول تنزيه الله عما يرتكب باسمه - على حد زعمهم -، "وهكذا نري أن الملاحدة المسلمين لا تنطبق عليهم صفة الإلحاد في المفهوم الغربي؛ التي تعني إنكار الله، فهم اعترفوا بوجود الله، بل وحاولوا تنزيهه عن الأخطاء التي زعموا أنها ترتكب باسمه"^(١).

وهذه النماذج في التاريخ الإسلامي لا ترقى إلى أن تكون ظاهرة فضلا عن أن تكون مذهبا معروفا، وإنما هي حالات فردية لا يخلو من أمثالها زمن من الأزمان ولا دين من الأديان، ولهذا من المجازفة القول بأن الإلحاد له تاريخ في الإسلام، وإنما الواقع أن هذه شذوذات لا تمثل تاريخا ولا حالة عامة - ونتيجة لواقع معين - سبق بيانه، وبالتالي فلا يمكن اعتبارها مواقف فكرية تعبر عن قناعة عقلية بقدر ما تعبر عن اعتراض فقد بوصلته على وضع شاذ خالف فيه المسلمون دينهم وشرعية ربهم. ومما تقدم لا يمكن الزعم بأن هناك إلحاداً - بالمعنى الغربي قبل الإسلام أو في تاريخه هو، وهو ما يحرم الملاحدة من حجة وبرهان اجتماعي يسعون لتأكيد كنه من الدعم النفسي للملاحدة (لست وحدك من أُلحِدت بل سبقك مفكرون عظام)، وكنوع من الدعاية للسذج من الناس الذين لا يعوون الفروق بين استعمالات المصطلحات.

(١) - حوار مع الملحدين في التراث: عصام محفوظ، ط دار الفارابي (بيروت) أولي ٢٠٠٤م، ص ١٨.

المبحث الثالث

الإلحاد المعاصر

إذا جئنا إلى الحديث عن الإلحاد المعاصر، فإن نشأة هذا الإلحاد كانت في أحضان القارة الأوروبية، وكان في بداية الأمر يمثل توجهات فردية ونزعات محدودة لدى البعض، وذلك نظرا لسطوة الكنيسة التي لم تكن تقبل بمثل هذه الأفكار، وتقابلها بعنف شديد، حتى إن مجرد مخالفتها في بعض القضايا العقديّة كان يعد كفرا وهرطقة وتجديفا يتوجب العقوبة التي تصل إلى القتل والحرق، كما فعلت مع الأريوسيين الذين خالفوا في قضية طبيعة المسيح وهل هو إله أم لا؟ مع أن الكثير منهم كانوا من الرهبان والقساوسة، وكما فعلت كذلك مع عدد من العلماء والمفكرين الذين كانت لهم آراء تخالف ما تعتقده الكنيسة من أمثال: الطبيب "ميشيل سرفيه" الذي أظهر اكتشاف الدورة الدموية، و"جيوردانو برونو" الذي أتى بفكرة أن هناك حياة خارج الأرض، وكذلك "كوبرنيكس" و"جاليليو" الذين نادوا بفكرة دوران الأرض وعدم مركزيتها، وغيرهم^(١)، كما أن القانون كان ينص على إعدام الملحدين، فكان التصريح بالإلحاد أمرا نادرا^(٢).

المطلب الأول: الإلحاد في بداية عصر النهضة الأوروبية.

لم يتحول الإلحاد إلى تيار عريض وحركة لها منظرون ومفكرون ومراجع ومراكز أبحاث بل وجامعات ودول في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر وذلك بعد سقوط الكنيسة. وقد كانت هناك بوادر للإلحاد في أوروبا ظهرت في القرنين الخامس والسادس عشر، وقد رصد رمسيس عوض عددا غير قليل من الحالات التي دارت حولها تهمة الإلحاد في تلك الفترة، ومن أمثلة هذا:

١ - جيوفروي فاليه، الذي أعدم سنة ١٥٧٤م بتهمة الإلحاد، ولم يكن أمر إلحاده واضحا، فقد وجدت

(١) انظر: الإلحاد وأسبابه، الصحة السوداء للكنيسة: زينب عبد العزيز، ط دار الكتاب العربي، (دمشق - القاهرة) أولى، ٢٠٠٤م، (ص ٦٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٣).

(٢) انظر: الإلحاد في الغرب: مرجع سابق، (ص ١٨).

له نبذة هاجم فيها الكاثوليكية والبروتستانتية وكذلك الإلحاد.

٢- جوليو سيزار فانيني، الذي ولد عام ١٥٨٥م، وقد أعلن أن العبادة الحققة هي عبادة الطبيعة وليست عبادة الله.

٣- الفيز كابواتو، وأدين عام ١٥٨٠م بالإلحاد، وقد ذهب إلى أن العالم وليد الصدفة^(١). ويذكر أن الإلحاد في إيطاليا انتشر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بين أوساط عامة الناس فضلا عن المتعلمين والأكاديميين، إلا أن هذا محل شك، لأن وصف الإلحاد كان يطلق حتى على من يخالف المبادئ الدينية ويسلك طريق المجون^(٢).

وفي هذه المرحلة ظهرت بعض الشخصيات التي كان لها أثر في ظهور الإلحاد من خلال بعض الأفكار الجديدة التي تبناها، والتي فتحت الباب أمام التحرر من القيود الفكرية التي وضعتها الكنيسة على التفكير والعلم، مع التأكيد على أن هؤلاء لم يكونوا ملاحدة، ومن أبرزهم: نيقولاس كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣م)، وجاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢م)، وليوناردو دافنشي (١٤٥٢-١٥١٩م)، ونيقولا ماكيافيلي (١٤٦٩-١٥٢٧م) وغيرهم.

وأما في القرن السابع عشر فإن الحال قد تغير كثيرا، حيث ظهر العديد من الفلاسفة الذين أتوا بنظريات جديدة تتعلق بالكون والمجتمع والإنسان والعلم، ومن أبرز هؤلاء: فرانسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) والذي عرف بأنه مؤسس المذهب التجريبي في الفلسفة الحديثة، ورينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) والذي يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة وأحد رواد مذهب الشك، وتوماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) وهو من أوائل الماديين المحدثين، وجون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤م) وهو أحد أبرز الفلاسفة التجريبيين ومؤسس الليبرالية الحديثة، وسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧م) الذي يعد من أول وأبرز من نقد الكتاب المقدس بشقيه (القديم والجديد).

وجميع هؤلاء - ربما باستثناء سبينوزا - كانوا يؤمنون بوجود الله، بل منهم من كان يعد من

(١) الإلحاد في الغرب: مرجع سابق: (ص ٢٧).

(٢) المرجع السابق: (ص ٢٤، ٣٠).

المتدينين جدا، إلا أنهم اتهموا في زمنهم بالإلحاد بسبب الأفكار الجديدة التي أتوا بها، والتي خالفت النمط الذي كان سائدا في ذلك الوقت، وهو النمط الذي فرضته الكنيسة، وكان لأفكارهم أثر غير مباشر في ظهور الإلحاد.

ومن المقاربات التي توضح تأثير هذه الأفكار في نشوء الإلحاد الصورة التي رسمها "ولتر ستيس" لكيفية تصور الناس للعالم في تلك المرحلة الزمنية، وعلى وجه الخصوص تصور الكنيسة، حيث لخص هذا التصور في نقاط:

١- الأرض ثابتة في مركز الكون، وبقية الكواكب والشمس والقمر كلها تدور حول الأرض متخذة شكل الدوائر.

٢- العالم خلق حوالي ٤٠٠٤ ق. م، وذلك بحسب ما استنبط من سفر التكوين، وستكون نهاية العالم عام ٤٠٠٤ بعد الميلاد، وذلك حتى تكون حياة المسيح قد وقعت في منتصف التاريخ تماما.

٣- كل شيء في العالم يسير وفق خطة إلهية محكمة، وكل شيء في الكون له هدف وغاية.

٤- يمثل العالم نظاما أخلاقيا، ومعنى ذلك أن القيم الأخلاقية مطلقة يحددها الإله، وليست نسبية معتمدة على رغبات البشر ومصالحهم.

٥- رجال الكنيسة هم الواسطة بين الإله وبين الناس في قبول التوبة والحصول على الغفران ودخول الجنة، مما أعطاهم القوة والهيمنة^(١).

فلما جاءت أفكار أولئك الفلاسفة هدمت جزءا كبيرا من هذه التصورات أو على الأقل زرعت بذور الشك في صحتها، مما أدى بعد ذلك على انهيارها تماما في المجتمع الأوروبي، مع أن العلم إلى هذه اللحظة لم يكن علما إلحاديا، يقول رمسيس عوض: "والجدير بالذكر أن العلم حتى القرن الثامن عشر لم يكن كافرا أو ملحدا أو متشككا في الدين، بل كان لا يزال حليفا له، كل ما فعله العلم في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر أنه استبعد الظواهر فوق الطبيعية من مفهومه للطبيعة التي

(١) الدين والعقل الحديث: ولتر ستيس، ترجمة: إمام عبد الفتاح، ط مكتبة مدبولي (القاهرة) أولى ١٩٩٨م، من

مقدمة المترجم (٩-١٣).

أصبحت في نظره تسير وفق نظام دقيق مثل آلة شديدة الدقة والنظام"^(١).

وأما في القرن الثامن عشر فقد تغير الحال كثيرا، ويعتبر هذا القرن من أخطر المراحل التي مرت على الفكر الغربي، ولقب هذا القرن بألقاب عديدة، ومنها: عصر الأنوار، عصر النقد، عصر الشك، عصر العقل، القرن الفلسفي، قرن العباقرة، القرن العظيم^(٢)، ومن خلال هذه الألقاب يستطيع القارئ أن يستشف معالم هذا القرن، وأنه كان عصر ظهور العديد من الفلسفات النقدية المبنية على النظر العقلي، والتي اتخذت من الشك منطلقا لها في نقد كل شيء، مما أدى إلى ظهور فكر جديد سمي بالفكر التنويري، وظهرت العديد من المذاهب ومن أشهرها: المذهب التأليهي أو الدين الطبيعي، الذي يؤمن بوجود خالق للكون، ولكنهم ينكرون الدين المنزل والموحي به من السماء، ويرون أن الإله خلق الكون ثم لم يتدخل في شيء من أمره، ومن هؤلاء التأليهيين: توماس بين (١٧٣٧-١٨٠٩م) وهو من أشد الناس عداوة للمسيحية، وفرانسوا ماري أرويه (فولتير) (١٦٩٤-١٧٧٨م) وقد كان يؤمن بوجود الله ويهاجم الإلحاد مع وجود إشارات للإلحاد في كلامه، ومونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥م)، وجان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م)، وبنيامين فرانكلين (١٧٠٦-١٧٩٠م)^(٣).

وظهر العديد من الفلاسفة والعلماء الذين كان لهم الأثر الكبير فيمن بعدهم، من أمثال: إسحاق نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م)، الذي جاء بالعديد من الاكتشافات ومن أبرزها نظرية الجاذبية، والتي أصبح من خلالها يمكن تفسير حركة الأفلاك والأقمار والنجوم، حتى عدت هذه النظرية مع النظرية الكوبرنيكية والنظرية الداروينية أشهر ثلاث نظريات غيرت عقول أهل الغرب، مع أن نيوتن كان يثبت وجود الله تعالى، وإن كان موقفه من التدبير الإلهي غير واضح تماما^(٤).

(١) الإلحاد في الغرب: مرجع سابق، (ص ١٢٠-١٢١).

(٢) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث: سلطان بن عبد الرحمن العميري، ط تكوين للدراسات والأبحاث، (الرياض) ثانية، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م. (١/١١٧).

(٣) انظر الإلحاد في الغرب، (ص ١١٦ وما بعد)

(٤) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، (١/١٣٦).

ومن مشاهير هؤلاء أيضا: دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م) وقد مهد بفلسفته التشكيكية للإلحاد وإن لم يكن هو ملحدا في نفسه، وإيمانويل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤م) الذي ذهب إلى عجز العلم والعقل عن إثبات صحة الدين، وسلك في إثباته مسلكا غريبا، وهو إثباته عن طريق الأخلاق، ويرى أن بناء الأخلاق على الدين خطأ.

ولئن كانت أفكار هؤلاء من أسباب هدم الدين دون أن يقصدوا فقد وجد في زمنهم من قصد إلى هدم الدين من خلال فلسفته، ومن هؤلاء: بول هولباخ (١٧٢٣-١٧٨٩م) الذي أنكر وجود الله تماما، وذهب إلى أن الإنسان إنما يؤمن بوجود الله لأنه لم يفهم الطبيعة.

وأما في القرن التاسع عشر فقد بلغ الأمر ذروته، كما تقول ارمسترونغ: "كان الإلحاد تحديدا على جدول الأعمال بحلول بداية القرن التاسع عشر، كان التقدم في ميدان العلم والتكنولوجيا يخلق روحا جديدة من الاستقلالية والحكم الذاتي مما دفع البعض إلى إعلان الاستقلال عن الله. ففي هذا القرن صاغ لودفيغ فيورباخ، وكارل ماركس، وشارلز داروين، ونيتشه، وفرويد، فلسفات وتفسيرات علمية للواقع لا مكان لله فيها"^(١).

ومعنى هذا أن القرن التاسع عشر شهد تقدما علميا كبيرا صاحبه نقمة كبيرة على الكنيسة وعلى الدين عموما في أوروبا، وأصبح شغل الفلاسفة البحث عن البديل للدين، وإيجاد تفسيرات جديدة للكون والحياة والظواهر الطبيعية، والإنسان والنفس والمجتمع والتاريخ، تحل محل التفسيرات الدينية لهذه الأمور، فانطلق الفلاسفة والمفكرون يولّدون الأفكار والنظريات المفسرة لكل شيء، حتى سمي هذا القرن بـ(عصر الصيرورة)، وذلك أن فكرة التغير والصيرورة سيطرت على الفكر الغربي فيه، وصار العلم التجريبي هو الميزان الذي توزن به جميع الأمور، والمنهج الصحيح الذي تبنى عليه جميع المعارف، وإذا كان القرن الثامن عشر هو عصر عبادة العقل، فإن القرن التاسع عشر

(١) الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر: كارين آرمسترونغ، ترجمة: محمد الجورا، دار الحصاد للنشر والتوزيع (دمشق) أولى ١٩٩٦م، (ص ٣٤٥).

هو عصر عبادة العلم^(١).

- وظهر في هذا القرن العديد من الملاحدة الذين أعلنوا إلحادهم دون موارد، ومن أبرز هؤلاء:
- آرثر شوينهاور (١٧٨٩-١٨٦٠م) صاحب الفلسفة العدمية التشاؤمية^(٢).
 - لودفيغ فيورباخ (١٨٠٤-١٨٧٢م)، اشتهر بنقد المسيحية في كتابه: (جوهر المسيحية)، ودعا إلى الإلحاد والليبرالية^(٣).
 - فريدرش فيلهيلم نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) الذي أعلن ولادة الإنسان الخارق الذي سيحل محل الإله! واشتهر بمقولة: لقد مات الإله ونحن الذين قتلناه!!^(٤)
 - سيغموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م)، الذي اعتبر أن (الله) مجرد وهم بشري!
 - هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣م)، صاحب نظرية تطور الدين وأن الإله ليس إلا خيال ووهم اخترعه البشر^(٥).
 - كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م)، صاحب الفلسفة الجدلية المادية، وصاحب الكلمة المشهورة: "الدين أفيون الشعوب"^(٦).

وكان هناك عدد من الفلاسفة الذين أتوا بنظريات كانت دافعا كبيرا وعاملا مساندا للإلحاد وإن كانوا هم غير ملاحدة، بل لم يكن من هدفهم بهذه النظريات إنكار وجود الله تعالى أو حتى إلغاء الأديان، ولكن كانت نتائج نظرياتهم في صف تأييد النظريات الإلحادية بشكل كبير وأصبحت إحدى

(١) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، (١/١٥٩-١٦٠).

(٢) معجم الفلاسفة: جورج طرايشي، ط دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت) الثالثة ٢٠٠٦م، (ص ٤٠٥).

(٣) المرجع السابق: (ص ٤٩٢).

(٤) الموسوعة الفلسفية: لجنة من الأكاديميين السوفيت، (ص ٥٥٣).

(٥) صة الفلاسفة من أفلاطون إلى جون ديوي: ول ديورانت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ط مكتبة المعارف (بيروت) سادسة ١٤٠٨-١٩٨٨م (ص ٤٨٢).

(٦) معجم الفلاسفة: جورج طرايشي، (ص ٦١٨-٦١٩).

ركائز الإلحاد فيما بعد، ومن أبرز هؤلاء:

- جورج فيلهلم فريدريش هيغل (١٧٧٠-١٨٣١م)، صاحب ما عرف بنظرية (النقد الهيجلي)، وهي الفلسفة التي صارت فيما بعد أساسا للفلسفة المادية الإلحادية التي نظّر لها ماركس، مع أن هيغل كان بروتستانيا متدينا.

- شارلز داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م)، وهو صاحب نظرية النشوء والارتقاء التي كانت نقطة تحول في الصراع الديني الإلحادي في أوروبا، وتمسك بها الملاحدة وعظموها، واعتبروها البديل العلمي للتفسير الديني لنشأة الإنسان، ولم يكن داروين في نفسه ملحدا، بل كان يثبت وجود الله تعالى، وكان أقرب إلى اللادينية.

وبلخص جيمس كولنز الوضع في القرن التاسع عشر فيقول: "وقد شهد القرن التاسع عشر مولد مذهب في الإلحاد، مذهب كامل التكوين يرمي إلى استبعاد الله بلا قيد ولا شرط من معتقداتنا المتواضع عليها. وكان من النادر فيما سبق من عصور أن يعتنق الإلحاد علانية مفكرون بارزون، إذ كان ينظر إليه على أنه موقف هدام، أما في خلال الفترة التي أعقبت هيغل فقد اعتنقه جهارا نهارا عدد من زعماء الفكر الذين أضفوا عليه نوعا من التوقير الذهني، بل من التداول الشعبي أيضا، وقد نجحوا في هذا بأن ربطوا بين الإلحاد وبين الاتجاهات الرئيسية في حياتنا العلمية والثقافية والأخلاقية، وبدلا من أن يبقى الإلحاد موقفا سلبيا عقيما أضحى مقوما بناء من مقومات الاتجاه العلمي الإنساني في المجتمع الحديث"^(١).

(١) الله في الفلسفة الحديثة: مرجع سابق، (ص ٣٣٨).

المطلب الثاني: الإلحاد في القرن العشرين.

أما في القرن العشرين فقد أصبح الإلحاد تياراً قوياً، وانتمى إليه كثير من المفكرين والفلاسفة والعلماء في شتى التخصصات، وأصبح شيئاً معتاداً في أوساط المثقفين والأكاديميين، وبرزت العديد من الأسماء من أمثال: آلان تورنغ، وبول ديراك، ولينوس باولنغ، ولعل من أبرز الشخصيات التي تبنت الإلحاد سير أنتوني فلو Sir Antony Flew (١٩٢٣-٢٠١٠م).

يقول بعض الباحثين في وصف دور أنتوني فلو في جانب الإلحاد: "تزعّم حركة الإلحاد في العالم لما يزيد عن نصف قرن، فقد أَلّف أكثر من ثلاثين كتاباً وبحثاً فلسفياً كانت بمثابة جدول أعمال الفكر الإلحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين... يمكن القول - دون أدنى مبالغة - إنه خلال المائة عام الماضية لم يعرض أي فيلسوف من ذوي الوزن الفكر الإلحادي بالأسلوب العميق المنظم كما فعل أنتوني فلو، فقد طرح الرجل حججاً جديدة ضد الإيمان بالله تعالى، كما رسم بأفكاره الأصيلة خارطة الطريق للفلاسفة الذين عارضوا الإيمان والتدين طوال النصف الثاني من القرن العشرين"^(١).

ولكن الأمر الأهم في القرن العشرين هو قيام ونشوء دول تبنت الإلحاد مذهباً لها، وحاربت الدين بكل شراسة، وظهر ما يعرف بمصطلح (إلحاد الدولة) وهو إعلان الدولة نفسها دولة ملحدة، وهذا شيء لم يعرف في التاريخ من قبل، ومن أبرز هذه الدول التي تبنت الإلحاد ما يعرف بدول المنظومة الاشتراكية أو المعسكر الاشتراكي^(٢).

وقد أفرز هذا التيار الجارف أصنافاً متباينة من الناس، حسب موقفهم من القضايا الدينية فمن منكر للوجود الإلهي رأساً، وآخر يتبنى فكرة أن الخالق موجود ولكنه لا يدبر الكون ولا يسيره، ومن قائل إنه لا يدري عن الإله شيئاً ومن ثم فلا يمكن له أن ينفي وجوده أو يشبهه، ومن ينادي بفصل الدين عن الحياة مع إمكانية تسليمه بوجود إله.

(١) خرافة الإلحاد: ع. شريف، ط مكتبة الشروق الدولية (القاهرة) أولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، (ص ٣١-٣٢).

(٢) الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٩م (٢٤٩/١٣).

ويمكن لنا تصنيف أهم المواقف الفكرية الناتجة عن هذا الخبط الفكري فيما يلي:

١- الملحد Atheist: وهو المنكر للدين ولوجود الإله، سواء كان إنكاره هذا إنكارا جازما باستحالة وجود الإله Strong Atheist أو كان وجوده محتملا عنده احتمالا ضعيفا جدا Defacto Atheist.

٢- اللاديني Irreligious: وهو من لا يؤمن بدين وليس بالضرورة أن يكون منكرا للإله، فقد يكون ملحدا وقد يكون ربوبيا وقد يكون لا أدريًا.

٣- ضد الدين Antitheist: وهو الملحد الذي يتخذ موقف عدائيا من الإله والدين والمتدينين.

٤- الربوبي Diest: وهو الذي يؤمن بأن الرب قد خلق الكون، ولكنه ينكر أن يكون قد أنزل شيئا من الديانات.

٥- اللا أدري Agnostic: وهو الذي يؤمن بأن قضايا الألوهية والغيب لا يمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك.

٦- العلماني Secularist: وهو الذي يدعو إلى إقامة الحياة على أساس العلم المادي والعقل والمصلحة بعيدا عن الدين، وكثير من العلمانيين هم لا دينيون، خاصة في الغرب. وهذه الأنواع ليست مراحل في طريق البحث عن الحقيقة، بل هي مواقف نهائية من قضية وجود الله تعالى ومن قضية الدين^(١).

وهذا التقسيم هو باعتبار حقيقة ما يعتقد الشخص، وهناك تقسيمات أخرى باعتبار الدوافع والأسباب، وباعتبار أسلوب التعامل مع الآخرين، وأيضا باعتبار الأصول التي يعتمد عليها.

(١) انظر: خرافة الإلحاد: ع. شريف، مرجع سابق، (ص ٢٧-٢٨) الإلحاد للمبتدئين، دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: هشام عزمي، ط دار الكاتب للنشر والتوزيع ثانية، ٢٠١٥م، (ص ١٨-١٩).

المطلب الثالث: الإلحاد الجديد.

عُرف مصطلح الإلحاد منذ زمن، إلا أنه مع بداية الألفية الميلادية الثالثة ظهر مصطلح (الإلحاد الجديد new atheism)، وينسب إطلاق هذا اللقب إلى الصحفي الأمريكي جيرى وولف في مقالة نشرها عام ٢٠٠٦م في مجلة (وايرد Wired) البريطانية، وكانت بعنوان: "كنيسة اللامؤمنين The church of non-believers"^(١).

ويختلف هذا النوع من الإلحاد عن الإلحاد المعروف أو ما يمكن تسميته بالإلحاد الكلاسيكي، فالإلحاد السابق كان يرفض الدين وينكر وجود الله تعالى ويتجاوز الأمر، لكن الإلحاد الجديد لا يتجاوز الأمر، بل يجعل الدين هدفاً للنقد والهجوم المستمر، ويعتبر أن الدين هو مصدر الشر في العالم، ولهذا يدعو إلى عدم التسامح مع الدين وعدم القبول بوجوده، ولا بد من إزالته من الوجود، فهو تيار عدائي مهاجم، مما دعا البعض إلى تسميته بـ(الإلحاد المسلح)، (الإلحاد المتطرف)، (الإلحاد المناضل)، (الأصولية الإلحادية)^(٢)، وإن كان لا يختلف عن الإلحاد الكلاسيكي إذا جاز التعبير في المضمون والقضايا^(٣)، ويقصر عنه في عمق المعالجات الفكرية.

ويمكن التأريخ لبداية تشكل ظاهرة الإلحاد الجديد بالعام ٢٠٠٤م حين أصدر سام هاريس كتابه الأول (نهاية الإيمان: الدين والإرهاب ومستقبل العقل) عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد حظي الكتاب بمبيعات ضخمة حيث ظل في قائمة النيويورك تايمز للكتب الأفضل مبيعا على مدى ٣٣ أسبوعا متتالية. وقد تبع كتاب هاريس بعام واحد صدور كتاب الفيلسوف الفرنسي ميشيل أونفري بعنوان: (بيان الملحد: قضية ضد المسيحية واليهودية والإسلام)، قبل أن يظهر في ٢٠٠٦م الكتاب

(1) <https://www.wired.com/2006/11/atheism/>

(٢) ينظر: ليطمئن عقلي، الإيمان من جديد بمواجهة الإلحاد الجديد: أحمد خيرى العمري، دار عصير الكتب للنشر والتوزيع، (القاهرة) أولى ٢٠١٩م (ص ٢١).

(٣) - راجع مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبدالله بن صالح العجيري، ط تكوين للدراسات والأبحاث، ثانية ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ١٧ وكذلك خرافة الإلحاد: ع. شريف، ط دار الشروق (القاهرة) أولى ٢٠١٤م، ص ٣٠ - ٣١.

الأشهر (وهم الإله) لريتشارد دوكنز.

وقد اتخذت هذه الحركة مسلكا عنيفا وهجوميا في مواجهة الدين، ويبررون هذا بالعنف الذي تسببت به الأديان، والصراع الذي أحدثته في العالم، وأنه لا بد من إيقافها حتى لا تدمر العالم، وعلى وجه الخصوص الإسلام الذي يتهمونه بأنه أشد الأديان عنفا وتحريضا على القتل والدمار، ويحتجون بحادثة ١١ سبتمبر التي كانت نقطة تحول كبيرة على حد زعمهم.

ف نجد على سبيل المثال أن سام هارس وهو أحد فرسان الإلحاد الجديد يصرح بأن تأليفه لكتاب: (نهاية الإيمان) كان بسبب أحداث ١١ سبتمبر، بل يقول بأنه ابتدأ تأليف الكتاب يوم ١٢ أو ١٣ / ٩ / ٢٠٠١م أي بعد الحادثة بيوم أو يومين، وقد صرح بأن هذه الحادثة هي أحد دوافعه للإلحاد^(١). ومثله ريتشارد دوكنز، يصرح بأن هذه الحادثة هي أحد أسباب توجهه إلى الإلحاد، فيقول: "يتساءل الكثيرون كيف غيرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ إليكم كيف غيرتني: لتتوقف جميعا عن هذا التصنع المقيت في إبداء الاحترام - يعني للأديان -". بل إنه بعد أربعة أيام فقط من حادثة ١١ سبتمبر كتب مقالة عن الحادثة في (الجاردان) البريطانية يقول في آخرها: "إن ملء عالم بالدين أو بأديان كالأديان الإبراهيمية هو تماما كملء الشوارع بالمسدسات المحشوة بالرصاص، لا تتعجب إذا ما تم استعمالها"^(٢).

ويقول دوكنز في مقدمة كتابه (وهم الإله): "في كانون الثاني ٢٠٠٦ قدمت برنامجا وثائقيا على التلفزيون البريطاني، القناة الرابعة، بعنوان: بذرة الشر، بادئ ذي بدء لم يعجبني العنوان، فالدين ليس أصل كل الشرور.. ولكنني سررت بالإعلان الذي وضعته القناة الرابعة على الجريدة الوطنية، وهي

(١) مقطع على اليوتيوب بعنوان: سام هارس، رحلة إلى الإلحاد انطلقت شرارتها بسبب ٩/١١:

<https://www.youtube.com/watch?v=EEzGekC1044>

- انظر نهاية الإيمان: سام هاريس، ترجمة محمد سام العراقي، ط ثانية ٢٠٠٥م، نسخة الكترونية، ص ١٠ - ١١

(٢) انظر ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، الناشر: تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ-

٢٠١٤م (ص ٢٢).

عبارة عن صورة لأفق مدينة منهاتن وبعنوان: (تخيل العالم بدون دين)، وما هي صلة الوصل هنا؟
البرجان كانا على الصورة.

- جون لينون (مغني له أغنية اسمها تخيل).. تخيل عالما بدون دين، لا انتحاريين، لا حملات صليبية، لا مؤامرة بارود، لا تقسيم للهند، لا حرب فلسطينية إسرائيلية، لا مذابح صرب - كروات - إسلام، لا اضطهاد لليهود كونهم قتلة المسيح، لا مشاكل في شمال إيرلندا، لا جرائم شرف، لا إنجيلي بهندام لامع على التلفزيون الأمريكي يجز أموال السذج، تخيل أنه لا وجود لطالبان ليفجروا تماثيل أثرية، لا قطع للرؤوس بشكل علني، ولا سوط على جلد أنثى لأن أحدا رأى بوصة منه^(١).

وهذا التبرير لا يستند إلى حقيقة علمية أو واقعية، إلا أن هذه النغمة قد وجدت صداها وتقبلها الكثير من المخدوعين، حتى صارت فكرة أن الأديان هي محور الشر وأن التخلص من الشرور في العالم مرتين بالتخلص من الأديان صارت هي الفكرة الأبرز والأكثر حضورا في خطاب الملاحدة الجدد.

أبرز المنظرين لهذا الإلحاد (الجديد):

ظهر لهذا الإلحاد الجديد عدد من المنظرين، أبرزهم:

١- **كلينتون ريتشارد دوكينز**: بريطاني ولد في ٢٦ مارس ١٩٤١ م في نيروبي عاصمة كينيا، ونشأ نشأة مسيحية، ولكنه بعد ذلك تركها متأثرا بنظرية التطور وأنها تحتوي على تفسير لنشأة الكون أفضل من التفسير الديني، وتخصص في علم سلوك الحيوان وعلم الأحياء التطوري، وصار من أشهر دعاة الإلحاد الجديد بعد أحداث ١١ سبتمبر، ويلخص بعض الباحثين فكر دوكينز فيقول: "يقوم مذهب دوكينز الفلسفي على ثلاث دعائم: (التعارض) بين الإله وبين قوانين الطبيعة، ومن ثم ينبغي أن نختار أحدهما كمنشئ للكون والكائنات. والدعامة الثانية: (المماثلة) فدوكينز ينظر إلى الإله باعتباره سوبر مان عليه أن يسلك مثل البشر، لذلك يحاسبه دوكينز حسابا عسيرا إذا سلك على غير ما يتوقع، وأخيرا: (الاحتمالية) واعتمادا عليها يبني دوكينز الكون والحياة بالعشوائية والصدفة، وبنفس الدعامة الاحتمالية

(١) وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩ م (ص ٤). الحوار المتمدن-العدد: ٢٨٧٨.

يستبعد دو كينز أن يكون الإله قد قام بعملية الخلق"^(١).

وفي عام ٢٠٠٦م أسس مؤسسة سماها: (مؤسسة ريتشارد دو كينز للمنطق والعلوم)، وله العديد من الكتب وأهمها:

- (وهم الإله The God Delusion)، صدر عام ٢٠٠٦م، وأصبح واحدا من أكثر الكتب العالمية مبيعا، حتى بيع منه أكثر ٣ ملايين نسخة، وترجم إلى ٣٠ لغة، وواضح من عنوان الكتاب أن موضوعه التشكيك في وجود الإله

- (الجين الأناني The Selfish Gene)، وهو كتاب عن قضية التطور، ويعتبره البعض مكتملا لبحث داروين حول موضوع التطور، وقد ترجم إلى أكثر من ٢٥ لغة وبيع منه ملايين النسخ.

- (صانع الساعات الأعمى The Blind Watchmaker)، وهو أيضا عن قضية التطور، وناقش فيه الانتقادات التي وجهت لكتابه السابق (الجين الأناني)

ويعتبر دو كينز أيقونة الإلحاد الجديد وأهم رموزه، ومع ذلك فإنه قد تعرض لنقد شديد من عدد من الملاحدة فضلا عن غيرهم، ومن أمثلة هذا النقد:

يقول الفيلسوف الملحد مايكل روس: "لقد جعلني كتاب وهم الإله أشعر بتوتر وارتباك لكوني ملحدا، فالكتاب الذي يعالج في المقام الأول قضية الأخلاق يتبنى حملة صليبية لا أخلاقية تتسم بالتكبر والعجرفة، فدو كنز لا يتحدث كفيلسوف يعالج الأدلة ليصل إلى استنتاجات منطقية، لكن كواعظ أصولي يرسم طريق الخلاص ويهدد بالطرد من الرحمة" ثم يطرح سؤالا: "إذا كان الإله غير موجود فلم هذا التطرف الشديد ضد الدين!؟".

ويقول الفيلسوف الملحد توماس ناجل: "يهدف دو كنز في كتابه إلى إنكار أن الدين هو مصدر آداب السلوك التي تسود الحضارة المعاصرة، وقد أخذ يكرر هذا الإنكار بطريقة كريهة ومقرفة قدر استطاعته".

ويقول عالم الوراثة التطوري ألين أور: "بالرغم من إعجابي السابق بنشاط دو كنز إلا أنه قد آن

(١) خرافة الإلحاد: مرجع سابق، (ص ٣٥٥).

الأوان لنفترق، إن كتابه: (وهم الإله) سيء للغاية، وبالرغم من أنني وصفت دوكنز قبلاً بأنه ملحد محترف، فإنني بعد قراءة كتابه الأخير أجزم أنه مجرد ملحد هاو، فإنه لم يقدم في الكتاب أي نقد موضوعي للدين بالرغم من إنفاقه مئات الصفحات في الهجوم على الإله^(١).

٢- **دانيال دينيت**: أمريكي ولد في ٢٨ مارس ١٩٤٢م، وهو فيلسوف وكاتب ومتخصص في فلسفة العقل والعلوم وعلم الأحياء

وله العديد من الكتب، ومن أهمها:

- فكرة داروين الخطيرة (Darwin's Dangerous Idea)، صدر عام ١٩٩٥م، وأراد من خلاله بيان آثار نظرية داروين على مختلف المجالات في محاولة للفت الأنظار إليها مجدداً، وإعادة إحياء الاهتمام والاعتناء بها.

- إبطال السحر: الدين كظاهرة طبيعية

(Breaking the Spell: Religion as a Natural Phenomenon)، صدر

عام ٢٠٠٦م، يتحدث عن أصل الدين وكيفية تطوره عبر تطبيق نظريات التطور.

وخلاصة آرائه في التالي:

- يمكن إرجاع كل سمة من سمات العالم إلى آلة ميكانيكية عمياء لا غاية لها ولا بصيرة.
- لا ينبغي أن يشارك الإيمان العقل كمصدر للمعرفة، حتى في قضايا الغيب.
- إن فكرة وجود الإله المتشخص فكرة طفولية غير منطقية.
- الأدلة التقليدية على الألوهية (دليل الحدوث، التصميم...) غير صحيحة، ومن ثم ينبغي على من يدعي وجود الإله أن يقدم دليلاً حسيًا عملياً^(٢).

٣- **كريستوفر هيتشنز**: بريطاني أمريكي ولد في ١٣ أبريل ١٩٤٩م، وتوفي في ١٥ ديسمبر ٢٠١١م، وهو صحفي وناقد أدبي، كان يسارياً ثم انتقل إلى الإلحاد التام، وأصبح من أبواق الدعوة إليه، وصار له

(١) خرافة الإلحاد، (ص ٣٢٠-٣٢١).

(٢) المرجع السابق، (ص ٣٦٦).

العديد من المتابعين والمناصرين بسبب أسلوبه الناقد الساخر، ومن أشهر مؤلفاته:

- الإله ليس عظيمًا: كيف يسمم الدين كل شيء

(God Is Not Great: How Religion Poisons Everything)، صدر عام

٢٠٠٧م، وهو أشهر كتب هتشنز التي تتعلق بالإلحاد، وقد شن في هذا الكتاب هجوما كبيرا على

الأديان، وبالخصوص الأديان الإبراهيمية وكتبها، واعتبرها سببا للشروع والدمار في التاريخ.

- الملحد المحمول: قراءات ضرورية لغير المؤمنين

(The Portable Atheist: Essential Readings for the Non-Believer)

ناقش فيه قضية الإلحاد والدين، وذكر جانبا تاريخيا للإلحاد مع شيء من حججه، وهاجم الدين

بشكل عام.

٤- سام هاريس: أمريكي ولد في ٩ أبريل ١٩٦٧م، لأم يهودية وأب مسيحي، وهو متخصص في علم

الأعصاب، وعرف بهجومه العنيف على الدين، ودعوته إلى إبادة المسلمين جميعا!!

وله العديد من الكتب، ومن أهمها:

- نهاية الإيمان، الدين والإرهاب ومستقبل المنطق

(The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason)

صدر عام ٢٠٠٤م، وتصدر قائمة أكثر الكتب مبيعا لمدة ٣٣ أسبوعا، وقد أُلّفه إثر هجمات ١١

سبتمبر، وحمل الإسلام خصوصا مسؤولية أعمال العنف والقتل.

- رسالة إلى أمة مسيحية (Letter to a Christian Nation)، وقد رد فيه على انتقادات

وجهت لكتابه السابق (نهاية الإيمان).

٥- ستيفن ويليام هوكينج: بريطاني ولد في ٨ يناير ١٩٤٢م وتوفي في ١٤ مارس ٢٠١٨م، ويعد من أبرز

علماء الفيزياء النظرية وعلم الكون على مستوى العالم، وقد عانى في شبابه من مرض يعرف باسم مرض

العصبون الحركي، وتسبب هذا المرض في شلله على مدى عقود حتى فقد القدرة على الحركة بل حتى

الكلام، ولكنه استطاع أن يتغلب على هذه العوائق ويصبح من أبرز علماء الفيزياء.

وله العديد من الكتب ومن أبرزها:

- (تاريخ موجز للزمن: من نظرية الانفجار العظيم إلى الثقوب السوداء

(A Brief History Of Time: from the big bang to black holes

صدر عام ١٩٨٨م، وكان الهدف منه تعريف غير المتخصصين بالنظريات العلمية الفيزيائية

المتعلقة بالكون، وخلال ٢٠ عاما بيع منه أكثر من ١٠ مليون نسخة، وترجم إلى ٣٥ لغة.

وقد ذكر في هذا الكتاب أن الأحداث التي صاحبت وأعقبت الانفجار الكوني الأعظم كانت

تخرق قوانين وثوابت الفيزياء، مما احتاج إلى التدخل الإلهي، ثم في أواخر حياته أنكر قضية التدخل

الإلهي بل أنكر وجود الإله من الأساس.

- (التصميم العظيم (The Grand Design) ألفه بالاشتراك مع ليوناردو ملودينو، وصدر

عام ٢٠١٠م، ويتناول حججا تدعم فكرة أن وجود الإله غير ضروري لتفسير نشأة الكون، وأن

الانفجار العظيم ما هو إلا نتيجة لقوانين علم الفيزياء وحدها، وهذا بخلاف ما قد كان قرره في كتابه

السابق (تاريخ موجز للزمن)

والأربعة الأوائل عرفوا بلقب (الفرسان الأربعة)، أخذوا من رواية إنجيلية تتحدث عن (فرسان

رؤيا يوحنا الأربعة) وهم فرسان الحروب والصراعات، في إشارة إلى أن هؤلاء هم حملة راية الإلحاد

في حربه ضد الدين، وإنما أطلق عليهم دون غيرهم لكونهم أبرز المنظرين والمنافحين عن الإلحاد

الجديد، وبرزوا من خلال كتاباتهم ولقاءاتهم وبرامجهم التلفزيونية، وصار لهم زخم إعلامي كبير،

وقد اجتمع هؤلاء الأربعة في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٧م في مقر إقامة كريستوفر هيتشنز، وتم تصوير اللقاء

الذي استمر لمدة ساعتين.

عوامل نشأة الإلحاد الجديد:

المتتبع لحركة ونتائج الملحدين (الجدد) يمكنه من رصد أهم العوامل التي أفرزت هذا الإلحاد

وشجعت المنظرين له على خوض غمار هذه المجادلات والصدامات العنيفة مع المتدينين، لعل من

أبرزها:

١ - العامل السياسي:

لا يخفي على متدبر ارتباط هذه الدعوات الإلحادية، بهدف سياسي واضح ينطوي تحت استراتيجية الاحتواء الحضاري التي يقوم بها الغرب منذ فترة طويلة، ويسعى من خلالها إلى فرض النموذج الغربي باعتباره آخر طور من أطوار الانتقالات الحضارية بين الشرق والغرب، وآخر حلقة من حلقات التناوب على قيادة البشرية، ولذلك يحاولون بكل الطرق تغيير الإسلام أو تحييده حتى يضمنوا بقاء حضارتهم إلى الأبد، وإذا لم يستطيعوا ذلك فلا عليهم أن ينشروا الإلحاد بين المسلمين حتى يغيب المسلم عن هذا التميز الحضاري الإسلامي ويزهد فيه، ومما يدل على ذلك قول سام هاريس: "إننا في حالة حرب مع الإسلام، لا نستطيع أن نخدم أهداف السياسة الخارجية - يعني أنه لا هوادة في هذه الحرب حتى لو تعارضت مع سياسات بلاده الخارجية - لقادتنا السياسيين؛ نعتزف علناً بهذه الحقيقة ليست مجرد أننا في حالة حرب مع دين سلمي تم اختطافه من قبل المتطرفين، نحن بالضبط في حالة حرب مع رؤية الإسلام للحياة على وجه التحديد التي وصفت لجميع المسلمين في القرآن وبمزيد من التفصيل في الأحاديث التي تروي أقوال وأفعال نبيهم.

إن المستقبل الذي لا يقف فيه معظم الإسلام والغرب على حافة الإبادة المتبادلة هو مستقبل يجب أن يتعلم فيه معظم المسلمين تجاهل معظم شريعتهم تماماً كما تعلم معظم المسيحيين ذلك؛ وهذا التحول ليس مضموناً نظراً لتعاليم الإسلام"^(١).

٢ - العامل النفسي:

يعتبر العمل النفسي للغربيين ومن تأثر بهم عاملاً مهماً في اعتناق الإلحاد والحماسة في الدعوة إليه، فحالة عدم الاتزان النفسي التي يعاني منها الغربيون ومن لف لفهم جعلتهم عرضة للوثات الإلحاد، وقد حاول بول فيتز في كتابه (نفسية الإلحاد، إيمان فاقد الأب The Psychology of Atheism: faith of the fatherless)، تتبع هذا العامل النفسي في نشأة الإلحاد حيث وضع بول في كتابه هذا فرضية لتفسير وقوع الشخص في الإلحاد، وخلاصة هذه الفرضية: أن هناك علاقة بين

(١) - نهاية الإيمان: سام هاريس، مرجع سابق، ص ١٠٧.

حالة الإلحاد وبين حالة العلاقة مع الأب، فإذا كانت هناك مشكلة في هذه العلاقة سواء بموت الوالد أو سوء معاملته أو وجود مشكلة في شخصيته فإن هذا قد يكون أحد أسباب الاتجاه للإلحاد، وقد سرد أسماء الكثير من الملاحدة ممن تتحقق فيهم هذه الفرضية، ومن هؤلاء ثلاثة من (الفرسان الأربعة):

١- ريتشارد دو كينز: عاش فترة طويلة بعيدا عن والديه، وذلك لأنه التحق بمدرسة (اوندل Oundle)، وهي مدرسة انجليزية داخلية مرتبطة بكنيسة إنجلترا، وخلال فترة دراسته تعرض لحادثة اعتداء جنسي من قبل أحد الأساتذة اللاتينيين الشواذ المرتبطين بالكنيسة الأنجليكانية، علاوة على أنه وقبل أن يتحول إلى نظرية التطور أبدى كرهه للحضور الإلزامي في مصلى المدرسة الداخلية، وأن هذا يسبب له أذى، بمعنى أنه قد تشكلت لديه ردة فعل عاطفية سلبية تجاه الدين.

٢- دانيال دانيت: عندما كان في الخامسة من عمره مات والده وهو في مهمة في الشرق الأوسط في حادث طائرة غير مفسر، ويكتب دانيال في مذكراته كيف أن أصدقاءه كانوا يعانون من أجل أن يستحقوا انتباه آبائهم، ويقول: "أرتجف بالتفكير لما كان يمكن أن يحدث لي لو كان على العيش طبقا لتوقعات والدي الفعلية"، ويستغرب فيتز هذه العبارة، ويقول: "إذا تحدثنا نفسيا فيمكنني اعتبار رده تبريرا وتصرفا إنكاريا".

٣- كريستوفر هيتشينز: كان والده ضابطا في البحرية البريطانية، ويشير هيتشنز إلى والده بـ(القائد)، ويذكر أنه كان هادئا كثيرا ونادرا ما يتكلم، وقد عاش كريستوفر من الثامنة إلى الثامنة عشرة بعيدا عن أسرته في مدرسة داخلية، ولهذا يصرح بأنه ليس له العديد من الذكريات مع والده، وكان والده يقدر المهارة الرياضية كثيرا، لكن كريستوفر لم يكن يمتلك أي مهارة رياضية، وفي آخر سنواته عمل والده في الحسابات لبعض المنظمات الصغيرة بعد أن أعفته البحرية من الخدمة، وكانت علاقة كريستوفر بأمه أقوى في الوقت الذي كانت أمه قد ضجرت من الحياة مع والده، فعقدت علاقة غرامية مع كاهن إنجليكاني سابق، وفي آخر الأمر وجدت والدته ورفيقها ميتين في فندق في أثينا، وإحدى الروايات تشير إلى أن رفيقها قتلها، وقيل: بل تعاهدا سويا على الانتحار، ويبدو أن

كريتسوفر صار ينظر لهذا الكاهن على أنه السبب الرئيس لانتحار والدته^(١).
أما بالنسبة لسام هاريس فإن فيتز يعتبره (استثناء محتمل)، وبغض عن مدى صوابية فرضية فيتز إلا أنه من الواضح أن أحوال هذه الشخصيات وما مرت به من ظروف حياتية تفسر كثيرا من حالة العدائية الشديدة للدين، وتحمله كافة أنواع الشرور الدنيوية.
وليس ستيفن هوكينج حالة بعيدة عن رفقائه في طريق الإلحاد، فإن مشاكله الصحية التي عانى منها على مدى عقود من حياته لا شك أنها تركت في نفسه أثرا سيئا، خاصة وأن مشكلة الشر والألم هي أحد أهم أسباب انتحال الإلحاد والميل إليه.
ومن الجدير بالذكر أن الإلحاد ظاهرة معقدة لا يمكن ردها لعامل أو عاملين، بل تتشابك فيها كل ما يمكن تخيله من عوامل ومحفزات، تنبئ في الأخير عن انحراف عن التصور الصحيح عن الكون والحياة، وصور مشوهة عن الأديان، تنطبع في ذهن الملحد، وترسخ من خلال سلوك المتدينين.

(١)، نفسية الإلحاد، إيمان فاقد الأب: بول سي فيتز ترجمة مركز دلائل، مركز دلائل (الرياض) ثمانية: ٢٠١٣م (ص ١١٥-١٢٣).

الخاتمة والنتائج والتوصيات

بعد هذا السرد التاريخي للإلحاد، ندرك أثر الخصوصية الدلالية في فهم المصطلحات وتبع الفكر الذي يحتويه المصطلح ويعبر عنه، فقد اختلف مضمون مصطلح الإلحاد من حضارة إلى حضارة أخرى؛ فبينما تعتبر بعض الحضارات الإلحاد بمعنى الاعتراض على الآلهة المزيفة، والخروج عن تقاليد المعابد والنظام الطبقي الجائر، اعتبرته بعض الحضارات أداة للنقد الديني والثورة على الظلم الاجتماعي، بينما قام في الحضارة الإسلامية بمعنى إنكار النبوة وبعض العقائد الإسلامية الأخرى، وتميز استعماله في الحضارة الغربية بمزيد من التحديد فقد صار يدل على إنكار وجود إله، دون غيره من مظاهر الخروج عن الشرائع ومقتضياتها، ومن هنا ندرك أن تعمد الملاحدة سرد تاريخ للإلحاد والزمع بأنه ظاهرة صاحبت الدين، ومثلت اختياراً وجودياً معه، زعم باطل ليس له ما يدعمه من التاريخ الصادق، والتفسير المستقيم للأحداث والوقائع التاريخية، مما يحرم الملاحدة من برهان أثير ودعاية فارغة مضمونها (لست وحدك من أحدث، ولكن سبقك أعلام وعلماء أفاض).

أهم النتائج:

١- يختلف معني مصطلح (الإلحاد وتصريفاته) من حضارة لأخرى حسب العرف اللغوي الشائع.
٢- لا وجود لملاحدة بالمعني المعاصر - إنكار وجود الإله رأساً - في التاريخ الإنساني، بل وجد ملاحدة لم يفهموا معاني الألوهية الحققة، أو ثاروا على النبوة، وما تستلزمه من الإيمان بالوحي والسمعيات.

٣- خطورة الغفلة عن هذا الاختلاف المصطلحي، مما يدعم مذاهب المتطرفين دينياً أو لا دينياً.
٤- تبرز وراء ازدهار الدعاية الإلحادية مجموعة من العوامل قد تتشابه، وقد تختلف بين الأمم التي ظهر فيها ما يسمي بالإلحاد - على اختلاف مضمونه بينهم -.

أهم التوصيات:

١- تشجيع الدراسات التي تناقش اختلاف مضامين المصطلحات واستعمالاتها بين الحضارات والأديان.
٢- ضرورة نفي مبررات الإلحاد، وتقويض أسس دعائته بتوضيح الحقائق، وكشف الشبهات.

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن على بن إسماعيل، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ.
٢. أبو العلاء وما إليه: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي الهندي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣. الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها: عبدالرحمن عبدالخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
٤. الإلحاد تعليل فلسفي: مايكل مارتن، ترجمة: لؤي عشري نسخة الكترونية.
٥. الإلحاد في الغرب: رمسيس عوض، مينا للنشر - القاهرة، الانتشار العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
٦. الإلحاد للمبتدئين، دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: هشام عزمي، دار الكاتب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٥ م.
٧. الإلحاد مشكلة نفسية: ع. شريف، راجعه وقدم له: أحمد عكاشة، نيو بوك للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
٨. الإلحاد وأسبابه، الصحة السوداء للكنيسة: زينب عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
٩. الإنسان والأديان - دراسة مقارنة: محمد كمال جعفر، ط دار الثقافة (الدوحة - قطر) أولي ١٩٨٥ م.
١٠. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١١. التعريفات: الجرجاني، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت) أولي ٢٠٠٣ م.
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- ١٣ . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٤ . حرية الفكر: ج. بيور، ترجمة: محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم: إمام عبد الفتاح إمام، ط المركز القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠١٠م
- ١٥ . حوار مع الملحد في التراث: عصام محفوظ، ط دار الفارابي (بيروت) أولي ٢٠٠٤م
- ١٦ . خرافة الإلحاد: ع. شريف، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ١٧ . دروس في الفلسفة: يوسف كرم، إبراهيم مذكور، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ١٨ . ديموقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة: على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للكتاب - الإسكندرية.
- ١٩ . الدين والعقل الحديث: ولترستيس، ترجمة: إمام عبدالفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٢٠ . زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.
- ٢١ . سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٢ . الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات، دار الاعتصام.
- ٢٣ . شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار: الجنيد بن محمود بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد القزويني، وعباس إقبال، مطبعة المجلس - طهران، تاريخ الطبع: ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- ٢٤ . شرح النووي على مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الكتب العلمية (بيروت)

٢٥. الشريعة: محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرِّي، دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٦. الشيوعية: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٧. ضحى الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هندأوي للتعليم والثقافة - القاهرة.
٢٨. طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.
٢٩. طبقات الشافعية: عبد الرحيم بن الحسن الإسني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.
٣٠. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث: سلطان بن عبدالرحمن العميري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي - القاهرة.
٣٣. فلاسفة اليونان: جعفر آل ياسين، العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١ م.
٣٤. الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون: عزت قرني، جامعة الكويت، ١٩٩٣ م.
٣٥. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٦. قصة الفلسفة اليونانية: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٣٥ م.
٣٧. قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي: ول ديورانت ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف - بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٨. القوانين: أفلاطون، ترجمه من اليونانية للإنجليزية: تيلور، وترجمه إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
٣٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ.
٤٠. لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.
٤١. الله في الفلسفة الحديثة: جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل، دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٩٨م.
٤٢. الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر: كارين أرمسترونغ، ترجمة: محمد الجورا، دار الحصاد للنشر والتوزيع - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٤٣. ليطمئن عقلي، الإيمان من جديد بمواجهة الإلحاد الجديد: أحمد خيرى العمري، عصير الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.
٤٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.
٤٥. مدخل إلى البوذية: كونراد مايزيغ، ترجمة: المطران كيرلس سليم بسترس، ط. المكتبة البوليسية (بيروت) أولي ٢٠١٠م.
٤٦. مذاهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٤٧. المذهب الدهري عند العرب: حسني يوسف الأطير، ط دار البيان (القاهرة) أولي، ١٩٨٤م.
٤٨. مسعى البشرية الأزلي إلى الله - الله لماذا؟: كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر - هبة محمود عارف، ط دار سطور (القاهرة) أولي ٢٠١٠م.
٤٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٠. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث.
٥١. مصر وإعادة البناء الحضاري: مصطفى النشار، ط. دار روابط للنشر وتقنية المعلومات (القاهرة)
٥٢. مع الفلسفة اليونانية: محمد عبدالرحمن مرحبا، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
٥٣. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٥٤. معجم الفلاسفة: جورج طراييشي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.
٥٥. المعجم الفلسفي: جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب - بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
٥٦. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٥٧. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
٥٨. من تاريخ الإلحاد في الإسلام: عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
٥٩. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
٦٠. الموسوعة الفلسفية: لجنة من الأكاديميين السوفيت، إشراف: روزنتال، يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت.
٦١. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.
٦٢. ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبدالله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.

٦٣ . نفسية الإلحاد: إيمان فاقد الأب: بول سي فيتز، ترجمة: مركز دلائل، مركز دلائل، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.

٦٤ . نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٢٥هـ.

٦٥ . النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٦ . الوسائل الدعوية بين الثبات والتطور: سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط دار اقرأ للنشر والتوزيع (الكويت) ٢٠٠٦م

٦٧ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٠٠-١٩٩٤م.

٦٨ . وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م.

69. Atheism, A philosophical Justification: Michael Martin, temple university press, Philadelphi. usa

الفهرس

الملخص	١٧٧
المقدمة	١٧٩
التمهيد	١٨١
تعريف التطور	١٨١
تعريف الإلحاد	١٨٢
المبحث الأول: الإلحاد القديم قبل الإسلام	١٨٩
المطلب الأول: إنكار الألوهية في الأديان الشرقية القديمة	١٨٩
المطلب الثاني: إنكار الألوهية في الفلسفة اليونانية	١٩٣
المطلب الثالث: إنكار الألوهية عند العرب قبل الإسلام	١٩٧
المبحث الثاني: الإلحاد في الفكر الإسلامي	٢٠٠
المطلب الأول: الرؤية الإلحادية للإلحاد في الحضارة الإسلامية	٢٠٠
المطلب الثاني: نقد الرؤية الملحدة حول وجود الإلحاد في التاريخ الإسلامي	٢٠٩
المبحث الثالث: الإلحاد المعاصر	٢١١
المطلب الأول: الإلحاد في بداية عصر النهضة الأوروبية	٢١١
المطلب الثاني: الإلحاد في القرن العشرين	٢١٨
المطلب الثالث: الإلحاد الجديد	٢٢٠
الخاتمة والتنايج والتوصيات	٢٣٠
المصادر والمراجع	٢٣١
الفهرس	٢٣٧

